السبت 24 أيلول 2022
العدد 4735 السنة السابعة عشرة
Samedi 24 Septembre 2022 nº 4735 17ème année

24 صفحة
10000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

خابيير مارياس... كاتب الذاكرة والماضي الثقيل

ميقاتي يعود إلى العرقلة حكومياً [4]

البلاد

نبض الضفة
خطابنا الثوري
نحو فهم وصايا الشهداء
[12]

تحت الاحتلال
«أبناء حسني الأشهب» يحرسون مدارس القدس
[14]

ذاكرة
29 عاماً على متاهة «أوسلو»
[15]

على الغلاف

الراقصون على الموت

لماذا يركبون البحر وهم يعرفون انهم سيموتون؟ سؤال بديهي، طُرح أمس وسيُطرح مجدداً. لكنه لمن يعلم، قد يكون اسهل طريقة للهروب من المسؤولية، وعدم مواجهة المزيد من مشاهد الموت التي تتربّص بالمقيمين في لبنان، على اختلاف اشكالها: قتلاً نتيجة إطلاق نار، او حادث سير، او انقطاع دواء، او طرد من على باب المستشفى، او... وكما يُطرح السؤال عن مسؤولية الدولة عن الطبابة والطرقات والأمن، يُفترض ان يُطرح عن مسؤوليتها في ملاحقة تجار البشر. هؤلاء الراقصون على الأموات، الذين لا يتركون وسيلة ترغيب إلا يلاحقون بها ضحاياهم. حتى الموت زيّنوه لهم، فصاروا يحفظون مبرّرات كثيرة للاستمرار في المغامرة ولو كلّفتهم حياتهم. وصار الموت الجماعي غرقاً «كالخسّ في السوق كدّسه البائعون» إذا استعرنا الشاعر الفلسطيني الراحل مريد البرغوثي. لا، لا يفضّل اهالي طرابلس الموت على ما آلت اليه ظروف الحياة في لبنان، وإن عبّروا عن ذلك في لحظات الضيق. هناك، في المدينة الجميلة قلباً وقالباً، يتحدّث الاهالي عن مراكب هجرة غير شرعية تنطلق يومياً. وعن سماسرة وتجار بشر يتلاعبون بمشاعر الناس، ويزيّنون لهم الأحلام، وعندما يُقبض عليهم تتعدّد وسائل خروجهم. هؤلاء مسؤولون، كما الدولة، عن ارواح لبنانيين وسوريين وفلسطينيين، حاولوا الخروج في فسحة «على موج البحر»

(الأخبار)

طرابلس تنتحر... هرباً من الموت البطيء

تشييع ضحايا عائلة مستو الذي غرقوا في البحر (علي حشيشو)

أهالٍ خليك

حافظت طرابلس وجاراتها على الهدوء، بعد غرق العشرات من أبنائها في مركب للهجرة غير الشرعية قبالة شواطئ طرطوس في سوريا. وهذا بخلاف حالة الغضب التي سيطرت عقب غرق مركب مماثل قبالة بحر طرابلس قبل ستة أشهر. بدا وكأنّ الطرابلسيين سلّموا بالقضاء والقدر بانتظار الغرق الجديد.

قبالة مدافن الرمل، جلس عدد من الشبان أمام المقهى يتداولون في آخر الأخبار من طرطوس. بدهشة وصدمة قليلتين، يزيدون الأسماء على لائحة الغرقى من جيرانهم وأقربائهم الذين سيرسون هنا في المدافن، بدلاً من أوروبا. يبالغ الشبان في برودتهم تجاه الفاجعة الجديدة التي ضربت الشمال. «هذا حظهم ونصيبهم» يقول أحدهم، مبرّراً بأن مركب طرطوس «غرق قضاءً وقدراً ولم يتم إغراقه كما حصل في طرابلس».

3 محاولات للهجرة

يقرّ الرجل بأن في تبريره، موافقة على استكمال مسلسل الهجرة عبر البحر بشكل غير شرعي. يقاطعه شاب آخر، ليؤكد بأنه هو أيضاً سيفعلها إذا استطاع إليها سبيلاً. «هنا نصرف أوكسيجين عالفاضي» يقول ابن خالة عزمي ببو، الذي لا يزال مفقوداً مع نجله أحمد، فيما نجله الآخر أمجد يقبع في العناية المشدّدة في مستشفى الباسل في طرطوس. باع عزمي الذي كان يعمل حارساً أمنياً في شركة خاصة، بيته وسيارته و«صيغة» زوجته، ليدفع كلفة التهريب. سبر الثلاثة البحر للمرة الأولى قبل شهر، لكنّ استخبارات الجيش أوقفتهم مع العشرات، في منزل في المنية أثناء تحضّرهم للصعود إلى المركب. مكثوا لوقت قصير في التوقيف لدى استخبارات الجيش قبل أن يُطلق سراحهم. أعادوا الكرّة منذ أكثر من أسبوع، لكنّ السلطات التركية أوقفتهم ورحّلتهم. حتى كانت الثالثة

> **في البحر إمّا أن نموت بسرعة أو نصل إلى أوروبا هرباً من الجحيم**

ثابتة ليل الأربعاء الماضي. حاول أحد أصدقاء أحمد (17 عاماً) ثنيه عن رمي نفسه في البحر بعد فشل التجربتين. «لم يجدها نذير شؤم، بل قال له: نحنا هنا نموت على البطيء. في البحر إمّا نموت بسرعة، أو نصل إلى أوروبا هرباً من الجحيم».

لا لتحريم الهجرة

في باب الرمل غصّ منزل آل مستو بالمعزّين بمصطفى مستو وبناته ديار وروبية ودينا، فيما زوجته حميدة تقبع في العناية المشدّدة مع والدها. زحمة إعلاميين بكاميراتهم، يصعدون إلى المنزل على الدرج المتهالك. تتوقّا العجوز على عصا وعلى أضواء الهواتف لتصل إلى منزلها في الطبقة الرابعة. تحمل بيدها ربطة خبز شبه فارغة وتتمتم، كلما سمعت أصوات النحيب: «يا لطيف».

اعتاد منزل آل مستو الصغير على الازدحام. منذ ما قبل الأزمة الاقتصادية بسنوات طويلة، يسكن الوالد والوالدة ومصطفى وأسرته وشقيقه وأسرته في البيت. لا قدرة لدى الشقيقين على استئجار منزل مستقل. وفي الآونة الأخيرة، اضطر مصطفى لبيع سيارة الأجرة التي يعتاش منها، ثم استأجر سيارة ليعمل عليها سائقَ تاكسي.

على وقع صوت الشيخ الذي يصدح بخطبة الجمعة من مسجد مجاور، تحلّق شبان وشابات على الشرفة. لا يعجبهم تحريم الشيخ للسفر عبر البحر لأنه «رمى النفس في التهلكة». تؤكد مايا (29 عاماً) بأنها قد تحذو حذو مصطفى. بانتظار وصول جثامين مصطفى والبنات الثلاث وأكبرهن في العاشرة من عمرها، استذكرت أن اليوم (أمس) عيد ميلادها. «لا أريد أن أتذكر. أعيش حالة اكتئاب أنا وعدد كبير من أصدقائي وزملائي. أعمل من الفجر إلى النجر ولا يكفيني راتبي سوى أجرة التنقل. أخضع نفسي لأيام كثيرة إلى الريجيم مع زميلاتي كي لا نضطر لشراء وجبات طعام خلال الدوام». روان (24 عاماً) ترى أن هناك مخططاً لرمي طرابلس كلها في البحر. «معظم الطرابلسيين من أصحاب الشهادات. لكن ما الفائدة؟ الأسبوع المقبل لديّ امتحان في الجامعة اللبنانية في بيروت، لكنّ الأساتذة في إضراب». أمّا علي (30 عاماً) فيشير إلى «غالونات» وبراميل المياه المتكوّمة في الزوايا. «أعمل في قسم المبيعات في شركة خلال النهار وأملأ المياه في الغالونات في الليل لأحملها إلى منزل عائلتي. هكذا أعادونا إلى العصر القديم. لا ماء ولا كهرباء. في شارع المئتين الذي أقصده، لا مبنى مضيئاً سوى منزل وزير الداخلية!»

في ورشة التنجيد المقابلة، لا يتمالك أبو أحمد وأبو عرب دموعهما على قريبهما مصطفى. صهره أبو أحمد عاتب عليه. «صار مجرّب مئة مرة. في إحداها، دخل مع أسرته إلى أوكرانيا بتأشيرة قانونية. إلا أن السلطات رحّلتهم. ثم جرّب دخول أوروبا عبر تركيا ولم ينجح». لم يستمع لنصائح العائلة بالتوقف. «غادر الحي منذ عشرين يوماً، بسرية ومن دون وداع. ادّعى بأنه يقيم لدى أصدقاء له في عكار وسيعود قريباً. هكذا يشترط المهرّبون» قال أبو أحمد.

فقدان الأثر

لكنّ عائلة السيد علي صاحبة الفجيعة الكبرى، تتمنى لو زاملت عائلتي مستو وبيو في معرفة مصير أبنائهما. فقد اصطحب أحمد نجله نور وابنته الأولى، وابنته الثانية مع أولادها الثلاثة. كان هدفهم اللحاق بماري، زوجة أحمد، التي سبقتهم قبل شهرين إلى ألمانيا للعلاج من مرض السرطان. لم تسلك طريق البحر لأن جسدها لا يتحمل. غادرت إلى تركيا بالطائرة ومنها عبرت بطريقة غير شرعية إلى ألمانيا حيث يقيم شقيقها.

يبرّر طه، شقيق أحمد، رغبة العائلة بالهجرة بالقول إن ماري «تبهدلت كثيراً بسبب حاجتها إلى العلاج الكيماوي». وبعدما نجحت في الوصول إلى ألمانيا، حاول أحمد مرات عدة اللحاق بها. في إحداها، أوقفته استخبارات الجيش، وفي غيرها وصل مع أسرته إلى قبرص وتم ترحيله. وفي المرة الأخيرة، غرقت الابنتان والأحفاد الثلاثة وفُقد أثر نور. أما أحمد فقد ظهر في مقطع مصوّر يساعد في نقل الجثث وإنقاذ الناجين، «لكن بعدما ذهب نجله الأكبر إلى طرطوس للقائه، لم يجد له أثراً. وسيعود ليلاً بمفرده مع جثمان أخته والأطفال» يقول طه.

في منزل الأهل الصغير في القبة، توسّط سرير غرفة استقبال المعزّين، ولفّ بغطاء أزرق. إنه النعش المؤقت لمن يصل أولاً من جثامين الأبناء. لا يتّسع للضحايا الست. لكن العائلة تدرك أنهم سيحصلون على دفعات وأن التشييع مفتوح. أم أحمد لا تستوعب ما جرى. تقبّلت نبأ مقتل ابنها وابنائه. لكن احتمال أن يكون ابنها حياً، إنما مفقود الأثر، وضعها في الدوامة التي يعانيها أهالي الضحايا المفقودين في مركب طرابلس منذ ستة أشهر.

توقيف «كينغ» المهرّبين

عقب مغادرة مركب الهجرة غير الشرعية من شاطئ المنية ليل الأربعاء الماضي، أوقفت قوة من فرع استخبارات الجيش في العبدة بلال ذ. الذي يوصف بـ«كينغ» المهرّبين. ابن ببنين العكارية والمسؤول عن رحلة المركب الذي غرق في اليوم التالي قبالة طرطوس السورية. لكن مصدراً أمنياً أكد لـ«الأخبار» أن تزامن توقيفه مع غرق المركب جاء بالصدفة. «كان هناك قرار بتوقيفه بعد تسييره للرحلة الثانية في غضون شهرين. وبعد إحباط الرحلة مراتٍ عدة من شاطئ العبدة، غيّر وجهة الانطلاق إلى المنية».

سجّلَ بلال حافلٌ لدى الأجهزة الأمنية. «منذ مدة، تواترى عن الأنظار وهو من أصحاب السوابق، يتعاطى المخدرات وتروبجها ومعروف بقسوته في التعامل مع المسافرين. في الرحلة الأخيرة، وبرغم ازدحام مركب الصيد الصغير بـ 170 راكباً، أجبر القبطان على الإبحار بعد تمنّع الأخير بسبب ارتفاع الأمواج والحمولة الزائدة ونفاد كمية الوقود. لكنه كلّف ثلاثة مسلحين بالصعود إلى المركب وإجباره على الإبحار»، بحسب المصدر. وجرى التداول بشائعة مفادها أن «القبطان، بعد ساعات قليلة من الإبحار، قفز من المركب وانتقل إلى مركب آخر ليقينه بأن المركب سيغرق».

في مديرية الاستخبارات، يقبع بلال منذ ثلاثة أيام. لكن في المقابل، هناك خمسة مهربين كبار من ببنين أيضاً لا يزالون أحراراً، هم ثلاثة من آل أيوظة ورابع من آل سعد الدين، والخامس من آل البستاني. وفيما يحمّل المواطنون الأجهزة الأمنية مسؤولية ضبط الشواطئ لمنع التهريب، تشكو الأجهزة نفسها من قلّة الموارد والإمكانات لتوزيع نقاط مراقبة على شواطئ الشمال المترامية، فضلاً عن تأمر عدد من العناصر الأمنية في تسهيل خروج المراكب مقابل رشى. وتحدث المصدر عن «فوضى تعتري قطاع تهريب الأشخاص بعد دخول أكثر من طرف على الخط. نتعامل مع مافيات لها أذرع وأرجل كثيرة وتجني عن كل رحلة ما لا يقلّ عن 300 ألف دولار أميركي».

النكبة الثالثة في نهر البارد

ما إن صدح صوت سيارة الإسعاف في الشارع الرئيسي في نهر البارد، أمس، حتى ركضت الحشود خلفها ظنّاً منها بأنها تحمل بعض جثامين الضحايا الذين غرقوا في مركب طرطوس.

منذ ساعات الصباح، جلس الجموع على جانبَي الطريق المحفّرة. استظلّوا بالمباني التي لم يُعَد بناؤها برغم مرور 15 عاماً على انتهاء الحرب التي شهدها المخيم، وتبادلوا أسماء حوالي 37 شخصاً كانوا على متن المركب. وحتى مساء أمس، حسم مصير 24 منهم في عداد الموتى وثلاثة في عداد الناجين. لكن هذا ليس كلّ شيء. هناك مجموعة أخرى غير محدّدة أبحرت على مركب آخر انطلق في الوقت نفسه مع المركب الغارق، ما يرفع عدد الركاب من نهر البارد في المركبين إلى 70 شخصاً. «فأين أبناؤنا؟ في أيّ مركب؟ وهل هم مفقودون أم أحياء، أم عبروا المياه الإقليمية باتجاه أوروبا؟» يقول أحدهم.

الهجرة غير الشرعية ليست غريبة على المخيم. منذ عقود، وبسبب كلّ الظروف المعروفة التي يعانيها اللاجئون الفلسطينيون، غادر المئات براً نحو أوروبا، قبل استحداث مسار البحر. لكن هذا الموت الجماعي ثقيل جداً. «إنها النكبة الثالثة لنا بعد نكبة فلسطين عام 1948 ونكبة 2007 بتدمير المخيم خلال حرب الجيش اللبناني على الإرهابيين» يقول أركان بدر، عضو قيادة الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين. يستعرض القهر بالجملة. عائلات قضت بأكملها كآل إسماعيل وآل حسن.

من بين الجموع التي تنتظر جثامين الغرقى، انبرى كثر للتأكيد أنهم لن يتوقفوا عن الهرب نحو البحر. ينهرهم على الذي عاد قبل شهر مرحّلاً من قبرص التركية بعد فشل رحلتهم. «بعت كل شي وعدت إلى ما دون الصفر. لكن البحر غدّار. لن أكرّرها. كدت أموت، بل متُّ بالفعل».

سوريا تعلن عن 20 ناجياً و77 ضحية
الأمواج تقاذفت المركب أكثر من 48 ساعة

أيهم مرعي

لم يأبه ركّاب القارب الغارق قبالة شواطئ محافظة طرطوس، بالخطورة التي تشكّلها أمواج البحر في أول أيام الانقلاب الخريفي، والذي عادة ما ترتفع فيه الأمواج إلى مستويات عالية، تشكّل خطراً على حياة كلّ راكبي البحر. هي المحاولات الأخيرة للحاق بآخر الرحلات البحرية غير الشرعية للقوارب الصغيرة، قبل أن يداهمها فصل الشتاء، وتتأجّل أحلام الراغبين بالهجرة إلى أوروبا نحو عام كامل.

في طرطوس التي هبّت للمساعدة في العثور على ناجين، يأتي غرق المركب اللبناني قبل مرور أسبوع على حادثة فقدان المهندس السوري محمد برجس طفليه وزوجته في حادث غرق قارب مهاجرين قبالة السواحل اليونانية، مع مجموعة من العائلات السورية الأخرى. المأساة التي عاشها برجس في اليونان، تكرّرت مع الشاب اللبناني وسام تلاوي (37 عاماً) الذي فقد التواصل مع زوجته وأولاده الذين كانوا على متن القارب، قبل أن يغرق، وها هو الآن ينتظر معرفة مصيرهم (أعلنت وفاتهم). يقول تلاوي في حديث إلى «الأخبار» إن «رحلة القارب بدأت من «المينا» في طرابلس، يوم الثلاثاء، وبعد ثلاث ساعات اختلّ توازن القارب، وبدأت أمواج البحر تتقاذفه باتجاهات مختلفة». وبحسب تلاوي، فقد تقاذفت الأمواج المرتفعة القارب لـ«أكثر من 48 ساعة، وسط حالة من الرعب والهلع عاشها كلّ من كان على متن القارب من رجال ونساء وأطفال». ويكشف أنه «لم يعلم بمكان غرق القارب إلا بعد وصوله إلى مستشفى الباسل في مدينة طرطوس»، وحينها «أدرك أن القارب غرق في المياه السورية، لافتاً الى أنه «فقد الاتّصال بزوجته وأطفاله»، ولا يريد شيئاً في هذه الحياة «إلا رؤيتهم بين الناجين».

> **اختلّ توازن القارب بعد 3 ساعات من انطلاقه يوم الثلاثاء الفائت**

ولم تستطع فرق الإنقاذ السورية تحديد العدد النهائي لضحايا غرق القارب، مع نجاحها في إنقاذ حياة 20 فرداً، فيما أعلن وزير الصحة السوري حسن الغباش أن عدد الضحايا ارتفع حتى ساعات المساء إلى 77 حالة وفاة، مع تقديرات أن العدد الفعلي للركاب يقارب المئة راكب.

وفي هذا السياق، يؤكّد وزير النقل السوري، زهير خزيم، في تصريح لـ«الأخبار»، أن «الوزارة، وعبر المديرية العامة للموانئ البحرية، وضعت كل الإمكانات المتوافرة لديها لإنقاذ ركاب القارب الغارق، بعد وصول معلومات عن وجود ضحايا على امتداد شواطئ محافظة طرطوس، وذلك من خلال استخدام زوارق كبيرة وأخرى مجهّزة بتجهيزات فنّية خاصة للبحث عن ناجين من الغرق»، موضحاً أن «مساحة البحث واسعة وكبيرة، وهي على امتداد كامل شاطئ طرطوس. والأحوال الجوّية أدّت إلى دفع عدد من الجثث نحو أكثر من اتجاه، ما جعل مهمّة البحث والإنقاذ أصعب». وبلفت الوزير السوري إلى أن «التواصل قائم على مدار الساعة مع الجانب اللبناني، ومع وزير النقل اللبناني علي حميّة تحديداً، لمتابعة عمليات الإنقاذ وانتشال الجثث والبحث عن ناجين».

من جهته، يوضح مدير الموانئ البحرية السورية، العميد سامر قبرصلي لـ«الأخبار» أن «فرق الإنقاذ تمكّنت من إنقاذ 20 شخصاً، فيما يستمرّ العثور على غرقى»، لافتاً إلى أن «عدد الركاب في القارب غير معلوم، وسط تضارب في شهادات الناجين عن العدد الذي تفاوت بين 80 و150». ويؤكد قبرصلي أن «القارب غير مؤهّل لحمل هذه العدد من الركاب، والسير في المياه الدولية».

وتُعدّ حادثة الغرق هذه، وحوادث الغرق المشابهة، شكلاً من أشكال المأساة التي تحلّ بالمهاجرين. حيث يقضي منهم في الغابات الأوروبية، أو في حوادث السير، أو الاختناق داخل شاحنات مخصّصة لنقل الترانزيت... فمنذ نحو شهرين، فُجعت محافظة الحسكة بفقدان الطبيب عبد القادر قلعجي، إثر إصابته بأزمة قلبية خلال المسير في غابات هنغاريا في طريقه للهجرة إلى ألمانيا، وهو ما حصل أيضاً مع الشاب عبود الزيدان، الذي فقد حياته في غابات اليونان.

(علي حشيشو)

حصة لعكار: غرق الأمّ وأطفالها الأربعة

نجلة حمود

هي الفاجعة نفسها التي أدمت قلوب العكاريين في عام 2014 يوم استقبلت بلدة قبعيت 16 جثمانا عادت من بحر اندونيسيا أثناء محاولة بلوغ أوستراليا، تتكرّر في بلدة القرقف في جرد القبيطع. فقد فجعت البلدة أمس بوفاة عائلة التلاوي الأم سلمى وأطفالها الأربعة: مايا (11 سنة)، مي (8 سنوات)، عمار (6 سنوات)، محمود (4 سنوات)، فيما نجا الوالد وسام التلاوي (37 عاماً) من الموت بعد إنقاذه مصاباً بكسور بليغة في مختلف أنحاء جسده.

يحتار الجد أبو علي التلاوي ماذا يفعل وهو المفجوع بأبنته وأحفاده. للعائلة سمعة حسنة وهو صاحب محالّ ميكانيك السيارات في منطقة بحنين. «لو تواضعنا المادية جيدة وعمدنا مراراً إلى منع وسام من المغادرة عبر البحر. وبعد أربع محاولات فاشلة، غادر في المرة الخامسة من دون علمنا ومن دون أن نودعهم حتى، وكانت الفاجعة بعد خمس ساعات من انطلاق المركب فجر الثلاثاء الفائت». ويضيف: «وقع خلاف بين وسام وبين عمه الذي منعه من بيع ممتلكاته والسفر، لكن تبيّن لاحقاً أن وسام باع منزله في طرابلس بقيمة 20 ألف دولار، وتنازل عن قطعة أرض ومنزل يملكهما في البلدة بقيمة تقارب الـ 50 ألف دولار لدى الكاتب العدل لمصلحة السمسار فور بلوغه إيطاليا، للأسف ضاعت العائلة وضاع كل شيء».

(أ ف ب)

لم يكن وسام يعاني الفقر والعوز، وهو موظف في إحدى الشركات ولديه بعض الأملاك في البلدة، لكنه أراد البحث عن حياة لائقة لعائلته، أراد الأمان والاستقرار وفضّل المجازفة على الرضوخ لنصائح عمه والعائلة، وكانت النتيجة مأسوية للغاية.

البلدة الهادئة التي لم يكن أحد ليسمع بها لولا هذه الكارثة الإنسانية، انهمكت أمس في إدخال الجثامين عبر معبر العريضة الى جبانة البلدة، حيث شيّعت الطفلتان (مايا ومي) ظهر أمس، فيما أُدخل أحد الشقيقين (عمار ومحمود) مساء من سوريا الى لبنان ولا يزال البحث جارياً عن الثاني لصعوبة التعرف إلى هوية الضحايا.

تجربة لن أكررها

«فعلتها سابقاً ولن أكرّرها على الإطلاق»، يقول ع. طالب من بلدة ببنين، ويروي كيف غادر منذ سبعة أشهر مع أحد المهرّبين السوريين وبشكل سري للغاية، «تم نقلنا ببوسطة مغلقة الى شاطئ أنفة ووصلنا الى إيطاليا في قارب يرثى له بخلاف الوعود التي كانت قد أغدقت علينا، مقابل مبلغ 100 مليون ليرة، ومن ثم توجهت الى ألمانيا وما قدمته لنا الدولة الألمانية لن نجده في لبنان طوال حياتنا، لكن الوضع في لبنان لا يحتمل. لديّ خمسة أطفال واضطررت للعودة لتأمين قوتهم اليومي بعدما تبيّن لنا أن الحصول على الجنسية شبه مستحيل». يتابع «نحن ضحية تجار البشر، وما يجري فعلاً مخيف. هناك شبكة منظّمة تعمل على التغرير بالشبان وتفرش الدنيا وروداً وهي في الحقيقة جهنم».

محاولات طبيعية!

النزوح والهجرة أمر طبيعي بالنسبة إلى العديد من أهالي بلدات ساحل وجرد القبيطع، ومنها مثلا بلدات: مشمش، قبعيت، حرار، ببنين، عين الذهب، فنيدق وغيرها... ولطالما عرف أهالي تلك البلدات والمغتربين منهم طرقاً التفافية للوصول إلى الجهة التي يقصدونها، بعد رفض تأشيراتهم القانونية. فبالإضافة إلى أندونيسيا وماليزيا، هناك خط تركيا واليونان للوصول إلى السويد، لكن لم يسجل في تاريخ تلك البلدات أن حصلت مجازر كتلك التي حدثت في عام 2014، أو كما يجري هذا العام، إذ لا يمرّ يوم من دون تسجيل حدوث محاولة هرب عبر البحر من دون أي اعتبارات.

ويدعو إمام بلدة القرقف الشيخ أحمد الرفاعي الناس إلى «أخذ العبرة وعدم المقامرة بأرواحهم وأرواح أطفالهم، كي لا تكون النتيجة مؤلمة ومفجعة وهي خسارة كل شيء».

في الواجهة

البيان الثلاثي بتفاهم مع إيران أم ضدّها؟

بعد أيام قليلة يُطوى الشهر الأول في المهلة الدستورية دونما تحمّس احد بما يكفي للانتخابات الرئاسة. لا دعوة ولا جلسة اولى قبل مطلع الشهر الثاني. يتقدّم تأليف الحكومة على الاستحقاق الرئاسي. والاهتمام الخارجي على اهل البيت مرشحين وناخبين. الذين ينتظرون حدثاً ما

نقولا ناصيف

بينما الداخل اللبناني يتلقّى جرعات بطيئة مدروسة ومحسوبة من الإيجابية، بالكلام عن قرب إعادة إصدار مراسيم الحكومة المستقيلة لإضفاء شرعية دستورية كاملة عليها في المرحلة المقبلة، وفي الوقت نفسه تأكيد قرب الاتفاق على الترسيم البحري مع إسرائيل، أوحى بيان وزراء الخارجية الأميركي

> **بعد البيان الثلاثي شغور رئاسي بارد أم ساخن؟**

والفرنسي والسعودي بأنه يدفع في وجهة مُحيِّرة: مطمئنة لحلفاء هذا الفريق، ومقلقة للخصوم.

المبرر الفعلي للحكومة الجديدة تنظيم مرحلة الفراغ الناشئة بعد 31 تشرين الأول عند انتهاء ولاية الرئيس ميشال عون دونما انتخاب خلف له. تالياً، من خلالها، تفادي فوضى محتملة. جزم ذلك سلفاً بوقوع شغور رئاسي لا أحد قادر على التكهّن بزمنه، وبتحويل حكومة الرئيس نجيب ميقاتي ملء الفراغ وإمراره بلا صعوبات ومفاجآت. بيد أن توقيت بيان الوزراء الثلاثة، ناهيك بمضمونه المهمّ، دلّ على مقاربة مختلفة لما بعد نهاية الولاية. دلّ على ما يقتضي أن يحصل لتجنب المرحلة الغامضة المقبلة، كأنه يعاكس تسليم اللبنانيين بالفراغ، باستعجال انتخاب الرئيس الموحّد للبنانيين في الموعد الدستوري. أظهر البيان الثلاثي نفسه فوق الخلافات الداخلية بتجنبه ذكر حزب الله أو النزاعات الوطنية والانقسامات، قاصراً اهتمامه على عنوان رئيسي هو الاستحقاق الرئاسي، تحته مرّر التركيز على الإصلاحات واتفاق الطائف والتذكير بالقرارات الدولية. مع ذلك، من المبكر التعويل على تداعيات البيان، إيجابية أو سلبية، في الداخل اللبناني قبل التحقق من ردود فعل المعنيّ بها، وهو الطرف الذي لم يأت البيان على ذكره، العارف أنه اللاعب الرئيسي في مجمل ما يدور في السلطات اللبنانية وخارجها:

أول ردود الفعل موقف حزب الله الذي لم يفصح بعد، مباشرة أو مداورة، عن رأيه في البيان الثلاثي. حسابات الحزب وحلفائه، من بينهم رئيس الجمهورية والتيار الوطني الحر، بعيداً من المواقف المعلنة، أن المرحلة المقبلة، في المهلة الدستورية وبعدها، غير مؤاتية له كي يتمكن من إيصال الرئيس الذي يطمئن إليه. لذا مجرد الكلام عن رئيس يوحّد اللبنانيين لا يفهمه حزب الله سوى أنه رئيس بمواصفات مناقضة للتي يريدها هو في مرشحه. رئيس يوحّد اللبنانيين، في مفهوم الدول الثلاث الموقّعة على البيان، ليس سوى الشخصية المناوئة لحزب الله. أقرب ما تكون إلى تجرّؤ على حصته في الاستحقاق الرئاسي، والتأكيد على أن تجربة عون لن تتكرر بعد اليوم.

لأنه، قبل البيان الثلاثي وبعد صدوره، متيقّن من فقدانه قبضته على البرلمان لانتخاب مرشحه، لا خيار أمام حزب الله سوى المعادلة المألوفة التي يدعمها في الوقت الحاضر ويُعدّ لها وتوشك أن تبصر النور: حكومة يرضى الأفرقاء بها جميعاً تستدرك الفوضى في مرحلة الشغور. ليس لها ولا لرئيسها أن يكونا معنيين بانتخاب الرئيس ولا اختصاص أو دور لكليهما في الانتخاب حتى، مقصورة على أن تكون الظهير الآمن للمفاوض الفعلي في الاستحقاق الذي هو حزب الله. أما انتخاب رئيس جديد فله حسابات مختلفة مرتبطة بتغيير الظروف والفرص.

ثاني ردود الفعل هو ما لم يصر بعد إلى التأكد منه، مرتبط بالتساؤل الآتي: هل مهّدت فرنسا للبيان بمفاتحة إيران بتسوية على انتخابات الرئاسة اللبنانية؟ تملك باريس دون سواها من بين الشريكين الآخرين امتياز التحدث المتواصل مع إيران. ذلك يحتم الظن أن تكون قد أثارت مع طهران . إذا كان المطلوب فعلاً بحسب البيان إعادة تثبيت الاستقرار اللبناني .الوصول الى تفاهم معها على إنجاز الاستحقاق. إذذاك تكمن أهمية البيان والمسار الذي سيسلكه.

يضيف البيان الثلاثي فيتو جديدا على الاستحقاق الرئاسي لتعطيله او تسهيله (أ ف ب)

من دون اقتران البيان الثلاثي بموافقة إيرانية مسبقة، يصبح لتداعياته مسار مختلف. الواضح أن المقصود منه الحؤول دون ولوج الشغور بانتخاب الرئيس في المهلة الدستورية. بيد أن الأمر يصبح مستعصياً إذا وجد حزب الله . بعد إيران، أنه في المقلب المعاكس منه. ذلك ما سيدفع الى الاعتقاد بأن الداخل اللبناني سيكون أمام أحد خيارين: شغور بارد بمواصفات حزب الله، أو شغور ساخن بمواصفات البيان الثلاثي الذي سيدفع الى المواجهة مع حزب الله على الاستحقاق المقبل. ثالث ردود فعل هو ما يمكن أن تدلي به إيران حيال بيان الدول الثلاث. في ما تضمّنه، بطريقة مشابهة لمخاطبة سوريا في لبنان عشية صدور القرار 1559 عام 2004 وتحذيرها من التدخل في انتخابات الرئاسة عامذاك، فإن المرام الحالي هو إخطار إيران أن لا دور لها في انتخابات الرئاسة اللبنانية. المغزى الحقيقي لهذا الموقف أنها أقرب ما تكون مطرودة من أي دور لها في المرحلة المقبلة في لبنان.

مع أنه موقف مبالغ به الى حدّ كبير في تقليل اهمية تأثيرها ونفوذها المتحكّم بفائض القوة في الداخل اللبناني، إلا أن المعلوم في المقابل أن الدول الثلاث الموقّعة على البيان لا تملك إجراء انتخابات رئاسية في لبنان، ولا فرض رئيس، بمفردها. لها أن تعطّل، شأن الفيتو الذي تملكه إيران وحزب الله في تعطيل جلسات الانتخاب، مع أن حزب الله، عشيّة انتخاب عون رئيساً عام 2016، كان يملك الغالبية النيابية، أخفق طوال سنتين ونصف سنة في إيصاله الى قصر بعبدا، الى أن انضمّ إليه الرئيس سعد الحريري. الآن، أمست مهمته أكثر صعوبة من دون أن يملك الأكثرية المطلقة حتى، ودونما استنجاده بحلفاء الرئيس نبيه برّي.

تقرير

ميقاتي يعود إلى العرقلة حكومياً

لم تكُن كافية الإشارات التي أوحَت الأيام الماضية بإمكانية ثلمة الأزمة الحكومية لرسم توقعات متفائلة حول تشكيلها في وقت قريب، ولا سيما في ضوء الموجة الجديدة من المعلومات التي عكست تراجعاً في منسوب التفاؤل وإشارت إلى «عدم التوافق على الأسماء التي سيُطاولها التغيير». ومن ضمن الإشارات التي استجدّت في الساعات الماضية تصريح الرئيس المُكلف نجيب ميقاتي بأنّ موضوع تشكيل الحكومة ما زال «عالقاً بين وزير من هنا وآخر من هناك، وهذا البحث يحصل بيني وبين فخامة الرئيس وبالتعاون معه»، آملاً الانتهاء من هذا الموضوع في الاجتماعات المقبلة الأسبوع المقبل.

وإلى جانب كلام المقرّبين من رئيس الحكومة، والذي اتّسم ببعض السلبية لجهة التأكيد أن «الطروحات لم تتغير، وأن البحث في أمر تغيير وزيري المهجرين والاقتصاد عصام شرف الدين وأمين سلام لا يزال نفسه من دون أن يحصل اتفاق»، فقد أكدت مصادر رفيعة للأخبار أن ميقاتي عاد وأصر على تغيير وزير الاقتصاد وأنه هو من يختار البديل منه ويجب أن يكون من عكار لأنه يريد إرضاء هذه المنطقة بأي شكل. وهو أمر يعرف أنه غير مقبول من قبل الرئيس عون إلا في حالة تخلّي ميقاتي عن أحد الوزراء المسيحيين المحسوبين عليه.

وكان لافتاً تساؤل مصادر قصر بعبدا عن مصدر الأجواء التفاؤلية التي سمعناها في الأيام الماضية، علماً أن المعطيات التي بين يدينا تشير إلى أننا لم نراوح الخانة الصفر».

أما بما خص محاولة احتواء الارتدادات التي خلّفها الاشتباك السياسي بين ميقاتي والوزير عصام شرف الدين، فكان البارز أمس تلقي الجهات المعنية كافة رسالة من رئيس الحزب التقدمي وليد جنبلاط قال فيها إنه «معنيّ بالتوصل الى اتفاق على تشكيل حكومة جديدة، وإنه غير معني ببقاء أو تغيير وزير المهجرين، وإنه لا يعترض على من يقترح الاسم البديل وهو يوافق مسبقاً على أي اقتراح يأتي من الوزير السابق طلال أرسلان، وأن المهم عدم تحميلي (أي جنبلاط) أي مسؤولية في عرقلة تشكيل الحكومة».

الترسيم

في ملف ترسيم الحدود البحرية، ينتظر لبنان إرسال الوسيط الأميركي عاموس هوكشتين مسودة الاتفاق. وأكدت مصادر مطلعة بالملف أنه «على الرغم من كل الأجواء الإيجابية، يبقى الحذر ضرورياً لأن النقاط العالقة والتي ترتبط بالمنطقة الآمنة التي يطلبها العدو والترتيبات الأمنية فيها من شأنها أن تنسف المسودة». فـ«لبنان لا يُمكن أن يقدم أي إجابات أو يبني على تصريحات، بل يجب أن يصلنا عرض مكتوب للتأكد من أن العدو الإسرائيلي والوسيط الأميركي لا يُراوغان لأن ليس كل ما يصلنا أو ينقل إلينا دقيق».

وفي هذا الإطار، أشار ميقاتي إلى أن «موضوع الترسيم متقدم من دون شك، لكن العبرة تبقى في النهايات»، لافتاً إلى أنّ «هناك بعض الخطوات الأخيرة ننتظر بشأنها بعض الأجوبة، وأن تكون رسمية لنبني على الشيء مقتضاه».

وفي إسرائيل، لم تشر التقارير الإعلامية الى أي مستجد يتصل بالملف، لكنها حافظت على الصورة الأخيرة بأن الأمور وصلت الى الشوط الأخير. ونقلت معلقة الشؤون السياسية في قناة «كان» غيلي كوهين العائدة من نيويورك، عن مسؤول إسرائيلي رفيع، أن «هناك تقدماً كبيراً» في قضية المفاوضات البحرية. ووصفت كوهين أداء الوسيط الأميركي بأنه «كان يركض من هذا الجانب الى ذاك الجانب، من أجل الوصول الى اختراق». مع ذلك، لفتت الى أنه «لا يمكن الحديث عن اختراق، وإنما هناك تقدم كبير، مشيرة الى أن المعتاد في مثل هذه الأمور، وخصوصاً في مفاوضات استمرت سنوات طويلة، يمكن أن يسقط كل شيء في التفاصيل الصغيرة، إلا أن هناك تفاؤلاً وحتى أكثر من ذلك، وفقاً لما سمعته هناك».

من جهتها، نقلت صحيفة «معاريف» عن مصادر سياسية اعتقادها «أن الفجوات المتبقية بعد الجولة الأخيرة للوسيط الأميركي ليست كبيرة، ويمكن التغلب عليها في الطريق إلى اتفاق». وبحسب صحيفة «إسرائيل اليوم» فإن رئيس الوزراء يائير لابيد يتصرف في هذه القضية وفق سياسة الإدارة الديموقراطية في واشنطن.

> **لبنان ينتظر مسودة هوكشتين حول الترسيم البحري**

وفي سياق متصل، نقل إعلاميون عن مسؤولين في جيش الاحتلال وصفهم الفترة القريبة على الجبهة الشمالية بأنها متوترة جداً، إلا أن التقدير الرائج أن احتمالات التصعيد لا تزال بعيدة. لكن المسؤولين في المؤسسة الأمنية لا يستخفّون بالمعادلات الجديدة التي يسعى الأمين العام لحزب الله الى فرضها في مقابل إسرائيل، بعد سنوات من المحافظة على الوضع الراهن. وفي المؤسسة الأمنية ينظرون الى محاولات الأمين العام لحزب الله تغيير المعادلات كالسير على الحافة وأنهم في السنوات الماضية كان التقدير في إسرائيل أن معقولية نشوب معركة أخرى على الجبهة الشمالية متدنّية جداً. ولا تزال هذه الإمكانية غير مرجحة، لكنها أصبحت تؤخذ بالحسبان كخيار ممكن.

(الأخبار)

تقرير

معركة انتهت... والتحضير بدأ لمعركة أخرى

عون يستعيد بالجملة ما خسره بالمفرق

يبدو انتصار تموز بكل عظمته، وما تلاه من انتصار أسطوريّ على التكفيريين في سوريا والمنطقة، مجرد محطتين اساسيتَيْن على طريق ما هو قيد التحقّق اليوم، لجهة الترسيم والالتزام الاميركي – الفرنسي – القطري بتفعيل وتسريع التنقيب في الحقول اللبنانية. ورغم ان ما يحصل يبدو في غالبيته دبلوماسيًا – اقتصاديًا – خارجيًا، إلا انه يمثل في واقع الصراع في المنطقة ولبنان أعطافة هائلة في المعادلات

غسان سعود

حين انتُخب ميشال عون رئيساً للجمهورية، غداة الاتفاق النووي الأميركي – الإيراني، أقرّ المطلب السياسي الإصلاحيّ الأول المتمثّل بنظام الانتخاب النسبي (بمعزل عن الإصلاحات الضرورية بشكل دوري دائم لقانون الانتخابات) وأجريت الانتخابات، وفي الأمن، طويت صفحة التكفيريين وصفحات التشنّج الطائفي، وأقرت مراسيم النفط، وانتظم إصدار الموازنات، وبدأت الكتل النيابية البحث في محرّمات مزمنة، مثل حق المرأة بإعطاء الجنسية لأولادها، وإنشاء محكمة خاصة بالجرائم المالية. بدا لوهلة كأنّ كل شيء يسير في الاتجاه الصحيح، باستثناء ملف الكهرباء طبعاً، حتى زيارة وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو لبيروت في آذار 2019، في إطار جولة تمهيدية لمؤتمر صفقة القرن الذي عُقد في 25 حزيران 2019.

مع خروج بومبيو من باب القصر خائباً بدأ الأميركيون استراتيجية الأرض المحروقة: امتنعت شركة توتال عن الالتزام بعقود التنقيب، وتحوّلت الحرائق الموسمية المتكررة إلى حدث استثنائي، وصادرت المصارف أموال اللبنانيين وودائعهم، وأقفلت أبواب دول عربية أمام الصادرات اللبنانية، ومُنعت مصر والأردن من الالتزام بتزويد لبنان بالغاز لتشغيل معامله عملاً بالاتفاقيات الموقّعة مع لبنان منذ سبع سنوات، وتحوّل تفجير المرفأ إلى منصة للتحريض المسيحيّ – الشيعيّ والتعبئة، وشهر الأميركيون سيف العقوبات، في وقت كانت ذراعهم المالية المتمثلة بحاكم مصرف لبنان رياض سلامة تتنقّل بين البنزين والمازوت والدواء والخبز والكهرباء لإفتعال أزمات متتالية.

في القصر الجمهوري لم يكن ثمة إنّ في الموضوع؛ كان واضحاً جداً من يفتعل هذا كله، معتقداً أن عشرات الملاحقات المسرحية المصوّرة للمسؤولين العونيين ستنتج كرة ثلج شعبية تطيح على نحو دراماتيكيّ بالعونيين للاستفراد بحزب الله. وكان الرئيس واثقاً أن فشل عهده أو نجاحه ليس هدفاً بحد ذاته للأميركيين، إنما فشل عهد عون بوصفه حليف الحزب هو الهدف والغاية. فلو كان عون صديق الأميركيين الذي ينفذ مطلب وزير خارجيتهم بتوجيه أوامره للقوى العسكرية للبحث عن مخازن الرؤوس الذكية (الخاصة بالصواريخ) لما كانت انسحبت "توتال" ولا استقوت المصارف على اللبنانيين ولا "فرعن" حاكم أو تأخّر غاز؛ لو كان عون صديق الأميركيين الذي يسكت عن دمج النازحين ويسير بركب المطبّعين عشية صفقة القرن لما كانوا موّلوا مجتمعاً مدنياً وإعلاماً وأضاع دبفيد شينكر وقته بتنشئتهم وتغذيتهم وإدارتهم.

في لحظة عاصفة بالتفاؤل، افترض الأميركيون أن الحصار حقّق غايته تماماً، قرروا الذهاب في ملف الترسيم أبعد من انتزاع الحقوق اللبنانية إلى ربط الاقتصاد اللبناني بإسرائيل عبر مبادرات (شجاعة في وقاحتها) كان هدفها الأول والأخير تكليف إسرائيل التنقيب في المناطق المتنازع عليها، لتعود وتعطي من شدة كرمها للدولة اللبنانية مصروفها. وقد فرخ هنا وهناك متخصصون بالنفخ والترسيم والتنقيب ما كان لَفَّهم ودورانهم حول السيادة يوصلان إلى غير هذا. وقد ذهبوا بعيداً جداً في تفاؤلهم الوقح، من دون أن يدركوا أن من في قصر بعبدا هو ميشال عون وليس ميشال سليمان، ومن في البحر والجو والبر هو حزب الله وليس بولا يعقوبيان وجورج عدوان ووائل أبو فاعور. انتزع الأول ملف التفاوض من الطاولات الجانبية ووضعه على مكتبه الخاص، فيما كثّف الثاني رسائله. ومن معادلة إلى أخرى، كان الحزب والرئيس يكملان عام 2022 ما بدآه عام 2006. أولئك الذين ينتظرون الحرب المقبلة ليروا مقاتلي الحزب يجتاحون المستوطنات المحاذية للحدود للاستقرار في الجليل، عليهم أن يدركوا أن الحزب وعون ذهبا في الأسابيع القليلة الماضية إلى ما بعد بعد الجليل. فقد خرج الفريق المحاصر منذ ثلاث سنوات ليقول للإسرائيليين لن نكتفي بعدم قبول ربط الاقتصاد اللبنانيّ بالقرار الإسرائيلي إنما سنربط الاقتصاد الإسرائيلي بالقرار اللبناني؛ فلا تنقيب في كاريش وما بعد بعد كاريش ما لم يحصل لبنان على حقوقه كاملة. هذه المعادلة البسيطة: "تنقيب مقابل تنقيب" لا "قانا مقابل كاريش" تمثل تحولاً هائلاً على مستوى المنطقة، ولبنان والصراع مع إسرائيل. وفي ظل الخشية الإسرائيلية من الحرب (أولاً) وعدم تحمل الكرة الأرضية لحربين

> **لم يكن إفشال عهد عون هدفاً للاميركيين إلا لكونه حليفاً لحزب الله**

في الوقت نفسه (ثانياً) والحاجة الأوروبية إلى غاز المتوسط في ظل الحرب الأوكرانية (ثالثاً) رضخ الإسرائيلي. وأياً كان ما يقوله بعض اللبنانيين فإن رضوخ الإسرائيلي للمعادلة الكبيرة الجديدة (استمرارية اقتصادكم مقابل نهوض اقتصادنا) موثّق بتصريحات كبار الأمنيين والسياسيين والصحافيين الإسرائيليين.

فيما ينشغل كثيرون بصخب فراغهم، طوّر رئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل والحزب معادلة الردع لتصبح معادلة بناء اقتصادي، وحوّل ضعف "الدولة التي لا تملك شيئاً لتخسره" إلى فائض قوة في مواجهة الكيان الذي يملك الكثير ليخشى عليه. وقف الرئيس عون حيث يُجب، على حافة الهاوية، وقال لمهدّديه إنه إذا قبل استقالة الحكومة وغادر القصر في ظل ترسيخ حزب الله لمعادلة الردع عن التنقيب فإن الإسرائيلي لن يجد من يحق له دستورياً توقيع أي اتفاق، ناهيك بأن الاتفاق مع رئيس حليف للحزب شيء والاتفاق مع سواه أمر آخر. وها هو الرجل الذي أرادوا تحميله كل الفشل المتراكم منذ نشأة الجمهورية يتحضّر ليكون رسمياً الرجل الذي وضع الجمهورية على سكة التحول إلى دولة نفطية! الرجل الذي أرادوا تحميله مسؤولية الهجرة المتواصلة منذ نشأة الجمهورية بحثاً عن فرص العمل سيكون هو الرجل الذي وضع الجمهورية على سكة النهوض الاقتصادي بكل ما يتضمن ذلك من فرص عمل واحتمالات هجرة مضادة وغيرها. أن يكون عون الرئيس الذي وضع الحجر الأساس لقيامة لبنان الاقتصادية، سواء وُقّع الترسيم في عهده أو بعده، إنما هو تفتيت لكل جهود خصومه في الداخل والخارج في السنوات الثلاث الماضية. وهو إذ كان يقول دائماً في النقاشات معه إنه يعود ليربح في الجملة كل ما يخسره بالمفرق؛ فإنه يفتخر بصوابية رهانه على الابتسامة الدبلوماسية من جهة، والصواريخ الذكية والمسيّرات واستعداد مجتمع المقاومة المنقطع النظير لتعريض نفسه لمخاطر الحرب وويلاتها من أجل ضمان حقوق لبنان وتكريس معادلات استثنائية من جهة أخرى. أرادوا لعون أن يخرج مهزوماً محطّم المعنويات، وها هو اليوم يستعد لمغادرة القصر مزهواً بحفاظ البلد – بفضل بصيرة حليفه – على استقراره في عهده رغم حدة الأزمة الاقتصادية التي كانت ستفتك بالاستقرار الأمني في أكثر الدول مَنَاعة، مسجّلاً فعله كل ما يلزم في التشريعات الدستورية والتدقيق الجنائي وملف الغاز وتعرية حاكم مصرف لبنان لتأمين نهوض اقتصادي حقيقي إذا ما توفّرت الإرادة من بعده.

ومع ذلك، مخطئ جداً من يعتقد أن لبنان قاب قوسين من النهوض الاقتصادي بحكم الالتزام الأميركيّ بالسماح للشركات بالتنقيب في المساحات الاقتصادية اللبنانية. لا يمكن لعاقل أن يتخيل أن تتحول الولايات المتحدة من استراتيجية الأرض المحروقة إلى دعم الازدهار أو السماح به في ظل موازين القوى السياسية نفسها. ستستنفر الولايات المتحدة أدوات كثيرة لتخريب عملية التنقيب لبنانياً كما سبق وأخرت عبر هذه الأدوات توقيع مراسيم التنقيب. وعليه تنتهي معركة لتبدأ معركة أخرى.

(هيثم الموسوي)

قضية

ميقاتي يرضخ للأميركيّين
عودة النازحين ممنوعة

سريعاً، رضخ رئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي للإملاءات الغربية والأميركية بعدم تنفيذ «تهديداته» في ما يتعلق بإعادة النازحين السوريين إلى بلادهم. أولى القوافل التي تتجهّز لمغادرة مرسال قريباً قد تكون الأخيرة. في ظل ما يتردد عن وعود لميقاتي بمساعدات مالية مقابل طي هذا الملف «المعنوعة» معالجته

لينا فخر الدين

يعرف نجيب ميقاتي كيف ينفض يديه من تعهداته ويتراجع إلى الوراء، ولو أوصله ذلك إلى الضفة المقابلة. لكنه لا يفعل ذلك «لمين ما كان» أو من دون ثمن. لرئيس حكومة تصريف الأعمال خطوط حمر كلّها خلف الحدود. «حتبلي» في تمسّكه بعقيدة «الغرب أوّلاً»، ويصعب عليه أن يرمش في حال استشعر عدم رضى غربي. هذا تحديداً ما فعله في ملف إعادة النازحين السوريين إلى بلادهم. أبدى الرجل في البداية حماسة غير مسبوقة، زايد فيها على جبران باسيل، وأوغل بعيداً في تهديد المجتمع الدولي بضرورة «التعاون مع لبنان وإلا سيكون له موقف ليس مستحباً لدول الغرب، بإخراج السوريين عبر تطبيق القوانين اللبنانية بحزم».

سريعاً، سحب من «الثلاجة» اللجنة الوزاريّة المعنية بهذا الملف، بموجب قرار لمجلس الوزراء في أيلول 2021، وأعاد تفعيلها، وطلب من وزير المهجّرين عصام شرف الدين تحريك المفاوضات مع الجانب السوري، إذ إن رئيس الحزب الديمقراطي اللبناني طلال أرسلان كان مُكلّفاً من قبل القيادة السورية بمتابعة الملف. حقن ميقاتي بـ«إبر الأمل» وأعطى وزير المهجّرين «معنويات» لاستئناف الخطّة التي حضّرها الوزير السابق صالح الغريب. زار شرف الدين دمشق وعاد بتعهدات سورية بالعودة الآمنة، وتقديم تسهيلات آمنيّة من بينها إصدار عفو شامل، واستيعاب 10 إلى 15 ألف نازح شهرياً مع تأمين أماكن إيواء لهم عبر بناء منازل، وتأمين مدارس مجهّزة لاستيعاب المزيد في حال كانت أعداد العائدين أكبر إلى حين بناء منازل خاصة بهم.

بدا، للمرة الأولى أن الأمور وُضعت على السكّة الصحيحة تمهيداً لرفع مستوى التنسيق بين لبنان وسوريا وعدم حصره باللجنة الأمنية، ما أثار استياء أصدقاء رئيس الحكومة الغربيين. فبدأ السفراء وممثلو المنظمات الدوليّة في لبنان بتنظيم

> قافلة العائدين من عرسال قد تكون الأولى والأخيرة بعد ضغوط شيا

«رحلات حج» إلى الوزارات المعنيّة بالملف لإقناعها بأن «العودة غير آمنة»، ورفضت المفوّضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (UNHCR) مدّ يد العون للبنان، وأعلنت جهاراً أن المساعدات المالية والعينيّة ستُقطع عن السوريين في حال عادوا إلى بلادهم. و«تصادف» ذلك مع توجيه المنظمات الحقوقية الدولية، ومن بينها «العفو الدولية» و«هيومن رايتس واتش»، رسالة إلى الأمم المتحدة تزامناً مع زيارة المفوّض السامي لشؤون اللاجئين فيليبو غراندي لسوريا الأسبوع الماضي، داعية الأمم المتحدة إلى «وقف البرامج التي يمكن أن تحفّز على العودة المبكرة وغير الآمنة للاجئين السوريين إلى بلدهم»، مؤكدة أن سوريا «غير آمنة للعودة». خلاصة الاجتماعات واللقاءات والدعوات والمناشدات أكّدت، بما لا يقبل الشك، أن العودة ممنوعة، وأن سكن النازحين ستبقى مصلتة على رقبتَي الدولتين اللبنانية والسورية، بغضّ النظر عن الأعباء المالية التي يتحمّلها لبنان.

ميقاتي يتراجع

ولأن «العين لا تعلو على الحاجب»، كان على رئيس الحكومة أن يراجع حساباته ويتراجع، خصوصاً أمام الطلبات الأميركيّة، إذ تشير المعلومات إلى أن ضغوطاً مارستها السفيرة الأميركيّة في بيروت دوروثي شيا التي أبلغت الحكومة اللبنانيّة أن هذا الأمر من المحظورات. كما دخلت بريطانيا أيضاً على الخط لحضّ ميقاتي على فرملة حماسة شرف الدين، ما دفع رئيس الحكومة الحكومة إلى النزول بثقله لتطويق شرف الدين وإثارة نزاع «الصلاحيات» بين الأخير وبين وزير الشؤون الاجتماعية هيكتور حجار، قبل أن يحاول «نزع الشرعية» عن مهمّة شرف الدين موحياً بأن زيارته لسوريا لم تكن بتكليف رسمي، رغم تذكير وزير المهجّرين رئيسه، في مجلس الوزراء، بالكتب التي أرسلها إلى الأمانة العامة للمجلس وبمحضر اجتماع اللجنة الوزارية المتخصّصة بمتابعة الملف. وسحب رئيس الحكومة الملف من شرف الدين وكلّف به المدير العام للأمن العام اللواء عباس إبراهيم الذي نجح في تسهيل عودة أكثر من 400 ألف نازح سوري إلى بلادهم قبل سنوات.

مقرّبون من ميقاتي يؤكدون أن تسليم الملف لإبراهيم دليل على «جدّية رئيس الحكومة»، إذ إنه «شخصية ديناميكية ولديه علاقات مع المسؤولين الأمنيين السوريين، ما يساعد على نجاح مهمته». وفي المقابل، يعزو آخرون سحب الملف من شرف الدين إلى أن الأخير «كان متحمّساً من دون مراعاة الإملاءات الغربية، فيما المدير العام للأمن العام أكثر براغماتية، وهو نفسه أكّد قبل شهرين بأن لا نية لدى المجتمع الدولي لإعادة النازحين السوريين إلى بلادهم».

على أية حال، يتابع شرف الدين عمله في المساعدة في الملف. وهو وضع 100 موظف من الوزارة في تصرف الأمن العام، وافتتحت وزارته مكتباً في عرسال وأرسلت إلى المديرية لوائح بأسماء العائلات النازحة الراغبة في العودة من أجل إرسالها إلى دمشق للتدقيق فيها أمنياً وتذليل أي عقبة يُمكن أن تواجهها، كتسهيل مرور المطلوبين للخدمة العسكرية عبر الحواجز الأمنيّة وتسوية الأوراق غير القانونية للسيارات العائدة. ومن المنتظر أن يأتي الرد السوري على اللائحة في غضون عشرة أيّام لتنطلق من عرسال أولى قوافل العائدين، والمؤلفة من نحو 460 عائلة على متن 235 سيارة. غير أن الخشية هي أن تكون هذه أولى القوافل وآخرها ومجرد ذر للرماد في العيون قبل أن يعاود ميقاتي عرقلة الملف مقابل وعود بمساعدات مالية للبنان لاستيعاب النازحين، في ظل ما يتردّد عن وعود في هذا المجال سمعها في زيارته الأخيرة لنيويورك.

استراحة

كلمات متقاطعة 4131

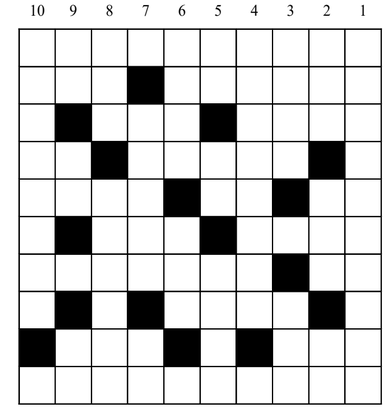

أفقيا

1- وزير خارجية عربي راحل 2- ماركة سيارات - طيب المذاق 3- يمشي - مصاب برأسه 4- عقل بالأجنبية - من الحبوب 5- للتعريف - حرف نصب - إبن أوى باللغة العامية 6- عائلة لاعب كرة قدم برازيلي - حصل 7- كتب - عاصمة أميركية 8- خزّان الماء في الآلات البخارية 9- سهاد - مسكن الرهبان 10- أغنية للسيدة فيروز

عمودياً

1- ممثلة مصرية 2- زفاف - من رجال التوراة - خنزير برّي 3- جميل - أبغض أشد البغض 4- مدينة سورية 5- أمر فظيع - عملة آسيوية - طعم شديد الملوحة والمرارة 6- مقول - سرق 7- جزيرة مصرية في البحر الأحمر - أوما 8- يزور الأماكن المقدسة - الهارب من العدالة 9- جنس حيّات خبيث جداً - خصب - دق الجرس 10- إحدى الولايات المتحدة الأميركية

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- الجيزة - سخط - 2- سنيكا - خنصر - 3- بنجاب - را - 4- اسو - لورد - 5- مجتر - شاوول - 6- انياس - تلبس - 7- بج - باخ - آر - 8- الفولكلور - 9- غيتار - فر - 10- كره بطريق

عمودياً

1- اسلام اباد - 2- لن - سجنجل - 3- جيبوتي - فغر - 4- يكن - رابليه - 5- زاجل - ساكت - 6- اوش - خلاب - 7- خيرات - ورط - 8- سن - دولار - 9- خصر - وبر - في - 10- طرابلس - عرق

4131 sudoku

6		5					9	
1				4	7	5		2
2	7	3		1	9			
		9						1
7	8					9	4	
4						7		
						2		8
8		1	2	6				9
	2		9	8		3	1	6

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4130

7	5	3	2	1	4	6	9	8
1	8	2	9	6	7	3	4	5
9	6	4	8	3	5	1	7	2
3	1	7	4	2	6	5	8	9
2	9	6	1	5	8	7	3	4
5	4	8	3	7	9	2	1	6
4	7	1	6	8	2	9	5	3
6	3	9	5	4	1	8	2	7
8	2	5	7	9	3	4	6	1

مشاهير 4131

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

ممثل أميركي من أصول إيرلندية. إشتهر بدوره في سلسلة أفلام «اندينا جونز» وبشخصية «هان سولو» في فيلم حرب النجوم

8+3+9+4+11 = مؤسس علم التحليل النفساني ■ 5+6+7+2 = حمّام بخاري ■ 1+10 = حيوان أليف

إعداد نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: شوقي ابو خليل

تقرير

الباصات الفرنسية قريباً في بيروت الكبرى

ندى أيوب

بعد أربعة أشهر على وصولها إلى لبنان، لا تزال الباصات الفرنسية خارج العمل. السبب هو الروتين الإداري والإقفال في القطاع العام الذي آخر تسجيلها حتى الساعة. لكن حلحلة ما قد تظهر الأسبوع المقبل ستسرّع بتسيير الباصات على طرقات بيروت الكبرى ضمن تعرفة لن تتجاوز في أي حال من الأحوال نصف قيمة بدل النقل المحدّد رسمياً بنحو 95 ألف ليرة يومياً.

في 23 أيار الماضي، تسلّم لبنان 50 باصاً هي عبارة عن هبة فرنسية

> التعرفة لن تتخطّى نصف قيمة بدل النقل

للبنان، وكان ينتظر أن تشكّل هذه الباصات، إلى جانب 45 باصاً جرى إعادة تأهيلها في مصلحة النقل المشترك والسكك الحديد، خطوة لإعادة تفعيل النقل العام المشترك في ظل أزمة أدّت إلى تآكل الأجور وارتفاع أكلاف التنقل من مكان السكن إلى مركز العمل. لكن الخطوة تأخّرت، ما أثار الشكوك بقدرة وزارة الأشغال، ولا سيما أنه لم يتشجّع أحد للمشاركة في مناقصة تلزيم تشغيل الباصات.

هذا ما دفع وزير الأشغال علي حمية إلى عقد مؤتمر صحافي في مصلحة النقل المشترك، ووراءه الباصات - الهبة، مشيراً إلى أنه خلال أسبوع من وصول الباصات إلى لبنان، فوجئت وزارة الأشغال بعد إرسالها كتباً رسمية إلى الإدارات المعنية كإدارة السير والجمارك وغيرهما، بأن بعض الإدارات تريد تفسيراً قانونياً حول الجهة التي قدّمت إليها الباصات ومن تسلّم الهبة: وزارة الأشغال أم مصلحة السكك الحديد والنقل؟ وهل هي تخضع لضريبة «TVA» ورسوم الجمارك أم لا؟

استمرّ هذا الجدل أربعة أشهر

(هيثم الموسوي)

مترافقاً مع إضراب القطاع العام لحوالي شهرين، إلى أن حُسم الأمر قبل يومين لتسجيل الباصات وإعفائها من الضريبة. لكن ليست هذه المشكلة الوحيدة التي تمنع تسيير الباصات. فالخطوات التالية ليست سهلة أيضاً. فالوزارة سبق أن أطلقت في آب الماضي مناقصة لتلزيم شركة خاصة لتأمين سائقين يشغّلون الباصات، إلا أنه لم يتقدم أي شركة إلى المناقصة، لذا ستعاد الأسبوع المقبل، علماً بأنه في الوقت الحالي سيتولى مهمة قيادة الباصات سائقو مصلحة السكك الحديد رغم تدنّي رواتبهم التي تتراوح بين 800 ألف ليرة ومليوني ليرة.

أيضاً هناك مشكلة خطوط السير والتعرفة وكلفة التشغيل والصيانة. بحسب الوزير علي حمية، فإنه سيتم تسيير الباصات ضمن بيروت الكبرى على الخطوط الأكثر اكتظاظاً وفيها نسبة ركاب عالية. أما تعرفة استعمال النقل المشترك، فستحددها الوزارة، على أن تعادل نصف قيمة بدل النقل الرسمي المحدّد اليوم بـ 95 ألف ليرة عن كل يوم عمل. «الهدف تمكين الانتقال من العمل وإليه ضمن سقف لا يتعدى ما يتقاضاه من بدل نقل» يقول حمية. أما بالنسبة إلى مشكلة شراء المازوت اللازم لتشغيل الباصات، فإن حمية سيطلب من وزارة المال توفير اعتمادات لهذا الأمر، رغم علمه بأن استمرار ارتفاع أسعار المحروقات ربما يؤدي إلى فرملة وضع الباصات في السير. كذلك، يجب تصحيح أجور سائقي مصلحة النقل المشترك والسكك الحديد، وحميّة سيطلب «تحسين أوضاعهم وإعطاءهم ما أُعطي لموظفي القطاع العام من مساعدة اجتماعية وتعويض إنتاجية».

تقرير

القضاة يتمرّدون على عبّود: القرار لنا

لينا فخر الدين

لم ينجح مجلس القضاء الأعلى في فرض أجندته على القضاة. فعلياً، خذل القضاة رئيس المجلس القاضي سهيل عبود أمس. السيناريو الذي «ركّبه» الأخير، محاولاً إملاءه على زملائه فشل حتى قبل بدء الجمعيّة العموميّة التي دعا إليها أمس في قاعة محكمة التمييز، غاب أكثر من 550 مقابل نحو مئة حضروا. فبدا عبود خارج سرب القضاة.

القضاة الذين حضروا لم «يقصّروا». ما إن سمع هؤلاء ما نطق به «الرئيس» بأنّ الشيكات التي وزّعت عليهم كمساعدات اجتماعيّة (تراوحت بين 500 ألف دولار بحسب درجات كل من جوع. وهم قالوا هذا الأمر بالفم المالآن خلال الجمعيّة العموميّة، مشيرين إلى أنّ وعود رئيس مجلس القضاء الأعلى ليست إلا حبراً على ورق، معربين عن خشيتهم من عدم قدرة الخليل على نقل اعتماد آخر في حال الفراغ الرئاسي.

حاول عبود إقناعهم، طالباً منهم بأن يقوموا بتسيير الأعمال الملحّة على شهرَين، مقابل المساعدات الاجتماعيّة التي تم تقاضيها على شهرين. ولذلك، كانت ردود القضاة أكثر حدّة تجاه مطلبه الذي وصفوه بأنه كمن يطلق النار على قدميه. مضيفين «إن السلطة السياسيّة لم تعرنا اهتمامها في عزّ إضرابنا عكس القطاعات الأخرى، فكيف ستقوم بتلبية مطالبنا في حال عُدنا إلى العمل، ناهيك عن الشلل الذي سيضرب السلطة السياسية بعد الفراغ السياسي». وراوا أنّه «في حال فكّ الاعتكاف من دون تحقيق أي مطلب، قد يبدو القضاة كأنّهم خافوا من تهديد نُقيب المحامين لهم».

ولأن عبود لا يريد أن «يلبس» فكرة توقيع القضاة على العريضة (وصل عدد القضاة الموقعين إلى نحو 630 قاضياً) لمناشدة حاكم مصرف لبنان رياض سلامة احتساب رواتبهم على سعر صرف 8 آلاف ليرة

(أ ف ب)

> حاول عبّود أن يدفع باتّجاه التصويت على إمكانيّة فكّ الاعتكاف إلا أنّ الحاضرين رفضوا بشدّة

قاض) كافية للإجهاز على الاعتكاف المستمر منذ أكثر من شهر، حتى «قامت قيامتهم». وجهة نظر عبود كانت أنّ حقوق القضاة وصلتهم «مع حبّة مسك» بعدما أقرّ وزير المالية يوسف الخليل نقل اعتماد من احتياطي الموازنة بقيمة 35 مليار ليرة إلى صندوق التعاضد الخاص بهم. وهذا ما أغضب القضاة الذين اعتبروا أن هذه المساعدات غير مستدامة، مشيرين إلى أنّ الوعود التي قدّمها عبود في إمكانيّة تأمين اعتماد مالي آخر لا يُغني ولا يُسمن لبنانيّة، لم يطرح هذا الأمر خلال الجمعيّة، وترك للقضاة الحديث عنها. وهم اعتبروا أن لا تعهدات تؤكّد أن العريضة أتت بنتيجة. وتشير المعلومات إلى أن الأسباب التي أفضت إلى عدم تعليق القضاة اعتكافهم هي الأجواء السلبيّة التي أشاعتها وزارة العدل وبعض أعضاء مجلس القضاء الأعلى بأنّ صيغة الـ 8 آلاف ليرة قد لا يسير بها سلامة، وخصوصاً أنّ هناك توجّهاً لدى بعض أعضاء المجلس لـ«خربطتها»، ليكون القضاة فعلياً «أكلوا الضرب».

تناوب القضاة على الكلام على مدى ساعات، ولم يتركوا مجالاً لعبود الذي حاول أن يدفع باتّجاه التصويت على إمكانية فك الاعتكاف من عدمه، إلا أنّ الحاضرين رفضوا بشدّة. وعليه، كان تمرّدهم عليه كافياً حتى بغض النظر عن مطلب العودة عن الاعتكاف، إلا أنّه لم ييأس؛ ببساطة، حاول أن يمتص غضب القضاة رغم موقفه الرافض لاعتكافهم، بتأجيل اتخاذ القرار إلى الأسبوع المقبل ولعقد جمعيّة أخرى حتى يتبيّن القضاة ما إذا كانت صيغة الـ 8 آلاف سترى النور أو ستعرقل.

في المقابل، فإن القضاة ذهبوا أمس إلى الجمعية العمومية تماماً كذهابهم يوم الجمعة المقبل من دون لائحة مطالب موحّدة، إذ إن لكل مجموعة من القضاة سقفاً خاصاً بها. وإذا كان البعض يؤكّد أن الخلاف سيقع بين القضاة الأسبوع المقبل، فإن آخرين يؤكّدون أن الغالبيّة العُظمى ستفكّ الإضراب في حال قبض الرواتب على 8 آلاف.

سيرة الحكم في لبنان في سيرة صائب سلام [8]

أسعد أبو خليك *

حديثنا هنا عن مذكّرات صائب سلام التي صدرت للتوّ في ثلاثة أجزاء بعنوان: «صائب سلام: أحداث وذكريات». وقلتُ من قبل إن الأجزاء الثلاثة هي يوميّات دوّنها صائب ونشرتها العائلة كما هي من دون تصحيح أو تنقيح أو تحرير، مع أنها تنقل صورة معبّرة عن مكنونات صائب سلام وتفكيره في محطات تاريخيّة هامة شارك هو في صنع بعضها.

يكشف صائب جانباً من الدراية الأميركيّة المشبوهة بصحّة جمال عبد الناصر. ولقد شغلني لسنوات موضوع احتمال تورّط أميركي في وفاة عبد الناصر ورويتُ من قبل أنني سألتُ مسؤولاً أميركيّاً سابقاً عن الأمر فقال لي: وهل أخبرك لو كان هناك ضلوع أميركي؟ ولقد نشر موقع وزارة الخارجية قبل أكثر من عشر سنوات وثيقة مُفرجاً عنها وفيها حديث بين زكريا محي الدين وبين مسؤولين أميركيّين وفيها يستفيض الأوّل في الحديث عن صحة عبد الناصر، وأذكر أنني أرسلتُ نسخة إلى المؤرّخ اللبناني محمود حدّاد، وبعد فترة أزال موقع وزارة الخارجيّة الوثيقة بالكامل. ويروي صائب عن حديث بينه وبين السفير الأميركي في بيروت في عام 1968 ويقول صائب إن «أخطر ما فهمته من «بورتر»، خلال ذلك اللقاء، فكان أن أوضاع عبد الناصر الصحيّة ليست على ما يُرام! والحقيقة أن هذا الموضوع شغل بالي كثيراً طوال الأيام التالية وظلّ مهيمناً على أفكاري». والتقى سلام بعد ذلك مع محمود رياض وأكّد له الأخير صحّة ما أورده السفير الأميركي (ص. 474، ج 1). لكنّ هذا الموضوع يحتاج إلى بحث وأدلّة أكثر قبل الفصل بالمسؤوليّة الأميركيّة.

وفي موضوع السياسة السعوديّة، بقي — على الأقلّ في اليوميّات — موقف صائب متطابقاً مع الموقف المصري. واعتبر أن الشرط الأوّل من شروط السلام في اليمن هو «توقّف السعوديّين عن إمداد الملكيّين بالمال والمساعدة» (ص. 473، ج 1). ويروي صائب معلومات مهمّة عن دور الجيش اللبناني و«المكتب الثاني» في تضليل الرأي العام وتالبيه ضد الفدائيّين، ويقول إن «إعلام المكتب الثاني (كان) يضلّل الناس بالحديث عن معارك وهميّة حصلت مع الفدائيّين وعن «اعتداء الفدائيّين على الناس»» (ينسب سلام القول إلى قائد «الصاعقة» آنذاك، رئيف علواني). (ص. 486، ج 1). ويقول صائب إنه نبّه رشيد كرامي إلى «خطورة وضع كلّ المصائب على ظهر الفدائيّين» (سيصدر قريباً كتاب عن الحرب في لبنان، وهو يعتمد على وثائق أميركيّة، ويُظهر فيها موقف رشيد كرامي في محادثاته مع الديبلوماسيين الأميركيّين متوائماً مع مواقف القادة المورانة آنذاك في الموقع من المقاومة الفلسطينيّة).

وفي الحديث عن الاستعداد للانتخابات الرئاسيّة في عام 1970 يذكر سلام أمر التمويل السعودي، إذ تجده يُطمئن كامل الأسعد بأنه، بعد لقائه مع الملك فيصل ومساعديه في جنيف، وجد الاحتمال «كبيراً» في أن «يساعدونا في المعركة المقبلة» (ص. 494، ج 1). إن قصّة انتخابات سليمان فرنجيّة في عام 1970 لم تُروَ بعد، وفيها الكثير عن تدخّلات خارجيّة (غربيّة وخليجيّة) وعن تهديدات ميليشويّة عشيّة الانتخابات. ويُكرر سلام في يوميّاته أنه كان دوماً متعفّفاً في مسألة كرسي الرئاسة الثالثة (ص. 513، ج 2)، لكنه يعترف في الجزء الأول أنه صارح شارل حلو بأنه لن يرضى برئيس حكومة غير نفسه. ويبدو من الرواية أن المكتب الثاني حاول استمالة صائب سلام لمعركة الرئاسة المقبلة، لكن المحاولة أتت متأخرة. وصائب كان راعي ترشيح سليمان فرنجيّة عبر تكتل الوسط الذي جمعه مع كامل الأسعد وسليمان فرنجيّة.

يعبّر صائب عن شديد حزنه لوفاة عبد الناصر ويصفه بـ«البطل الاستثنائي» (ص. 523، ج 2). وبالفعل، في تصريح صائب المنشور في الصحف غداة وفاة عبد الناصر رثاه بحرقة وقال: «إنها أفدح خسارة تنزل بالأمة العربيّة» ونزعَ القربنفلة الشهيرة عن عبد الناصر هي التي جعلت النظام السعودي يقتّر في عون سلام مالياً — حسب الشكاوى المتكررة في اليوميّات). وعزّى صائب أرملة عبد الناصر، وقيل لصائب إنها لم تنزل من جناح النساء «لتجتمع بأحد قبله» أو «تتقبّل أيّ تعازٍ من أحد» (ص. 525، ج 2). ويضيف صائب أن صورته مع أرملة عبد الناصر «كان لها دويّ كبير وتأثير كبير». وقيل، أيضاً، لصائب إنها وقعت مغشيّة عليها بعد مقابلة صائب — من شدة التأثر أو الصدمة (لرؤية صائب بشحمه ودمه)؟ لا ندري. نترك المسألة للمؤرّخين.

هناك ثغرات كبيرة في المذكّرات. صائب يمعن في سرد تفاصيل عن مسائل ليست مهمّة (مثلاً إبراد تصريحات له والزعم أنها أحدثت دويّاً كبيراً في لبنان والمنطقة، وأحياناً في العالم) لكنه يمرّ مرور الكرام على أحداث كبيرة أو أنه يهمل ذكر محطات مهمّة كان له دور كبير فيها (مثل فضيحة إنترا). في ولاية صائب سلام في حكومته الأولى في عهد سليمان فرنجيّة (من عام 1970 حتى عام 1973) لا يتوقّف سلام مليّاً عند هذه المرحلة المهمّة من تاريخنا المعاصر بل لا يذكر عنها غير سفرات له وكيف أن النظام السوري أعدّ له «استقبالاً حافلاً وحاراً» (ص. 532، ج 2). يقفز سلام عن السنوات الثلاث ليذكر فجأة أمر استقالته بعد عملية الكوماندوس الإسرائيلي في نيسان 1973، واغتيال قادة المقاومة وتورّط قيادة الجيش (الأكيد) في التغطية أو التواطؤ في الاغتيال. وأفصح سلام كيف أن الجيش اللبناني كان يخالف قرارات القيادة السياسيّة بالتصدّي للعدوان الإسرائيلي ويتمنّع عن استعمال الطائرات المقاتلة التي كانت بحوزته (كان شارل حلو بأنه لن يرضى برئيس حكومة بجدّ ويكون طائرات الاستعراض مثل «سوبر توكانو» أو طائرات رشّ المبيدات التي تنعم بها الحكومة الأميركيّة على لبنان هذه الأيّام لإيهام شعبه أنها تدعم الجيش). ويعترف صائب أن قيادة الجيش كانت تتذرّع كل مرّة بقع فيها عدوان على لبنان وتزعم أن الرادارات لم تكن تشتغل أو أنه ينقصها قطع غيار من الصعب الحصول عليها (ص. 542، ج 2). لكن صائب يعترف — من دون أن يلاحظ — بتقصير وخذلان فظيع من قبله: هو يقرّ أنه كان يغطّي على تقصير الجيش بحكم موقعه كرئيس حكومة. أي إن صائب سلام شريك في التقصير الذي شاب أداء الجيش في تلك المرحلة ربما لأن مصلحة بقائه في الكرسي اقتضت ذلك وتفوّقت على المصلحة الوطنيّة العليا. وهذه التغطية كلّفت لبنان مئات من الضحايا الأبرياء من اللبنانيّين والفلسطينيّين الذين كانوا يُحرقون حرقاً بحمم القصف الإسرائيلي فيما كان الجيش يقف متفرّجاً ممتنعاً عن استعمال ما لديه من سلاح. أمّا صائب فكان يغطّي على الجيش باستمرار. هذه مسؤوليّة تاريخيّة تتوجّب المحاكمة لو كان سلام حيّاً. طبعاً، صائب استقال في ما بعد احتجاجاً على تقصير قائد الجيش، لكنه شريك في التقصير الذي سبق عدوان فردان لأنه غطّى عنه في سنوات حكمه.

ويسرد صائب أكاذيب متعدّدة كان الجيش اللبناني يسوقها في الإعلام لتسويغ سكوته عن عدوان إسرائيل: كانت قيادة الجيش تزعم كذباً أن قيادة المقاومة كانت تناشده لعدم التدخّل. هذه مرحلة لم تتم محاسبة المسؤولين عنها — والمسؤولون عنها كانوا مسؤولين عن الويلات التي جرّت إلى حرب أهليّة. وفي حادث فردان الشهير، يقول صائب إن الجيش أصدر بياناً كاذباً عن اشتباكات بينه وبين العدوّ في صيدا فيما كان قائد الجيش يقول لصائب في ليلة العدوان إن لا علم لديه بوجود عدوان في صيدا (ص. 544، ج 2). ويتهم صائب قيادة الجيش باستفزاز المقاومة الفلسطينيّة وأن رهان الجيش بعد عمليّة فردان كان من أجل إشعال مواجهة بين الطرفيْن. هذه شهادة مهمّة وخصوصاً أن السرديّة الكتائبيّة السائدة عن مؤامرة فلسطينيّة (والسرديّة الكتائبيّة هي عينها السردية الإسرائيليّة، يا للعجب العجاب) تصوّر الاشتباكات بين المقاومة والجيش أنها كانت من أجل فرض... التوطين. وشعر صائب أنه كان هناك تفاهم أميركيّ مع سليمان فرنجيّة لتدخّل قوات أميركيّة «إذا تأزّم الوضع في لبنان» (ص. 545، ج 2). وعندما زار ياسر عرفات القصر الجمهوري في محاولة للتفاهم مع فرنجيّة سمع أحد حرس الرئيس يقول: «شو جايي هالأزعر يعمل هون». لكن عندما أرسلت مصر طيّارين لتنسيق الدفاع عن لبنان استغرب صائب ذلك ولم يعبّر عن تأييده (ص. 598، ج 2). والطريف أن صائب عندما يتحدّث عن خطبه وتصريحاته يحرص دائماً على وصفها بـ«الموفّقة»: «وكانت كلمتي موفّقة... ولقد كان ردّي عليهم بعد الظهر موفّقاً، كما كانت كلمتي عند الصباح موفّقة»، وكان هذا «التوفيق» وراء محاولة منع الحكومة نشر خطبته لكنّ الصحف نشرت خطابه وتلقّى التهاني، وتلقّى على الأرجح الدعاء بـ... التوفيق (ص. 557، ج 2).

> يروي معلومات مهمّة عن دور الجيش اللبناني و«المكتب الثاني» في تضليل الرأي العام وتاليبه ضد الفدائيين

وأورد صائب معلومات فرنسيّة عن وزير الخارجيّة المصري، إسماعيل فهمي، وأنه كان «أميركيّاً» وأنه كان ينقل إلى كيسنجر محادثاته مع ديبلوماسيّين آخرين. لم يثق الفرنسيّون به أبداً (ص. 567، ج 2). وفي تلك الفترة، بعد احتدام الصراع بين سلام وفرنجيّة (من دون أن يعترف سلام بمسؤوليّته في ترشيح فرنجية وفي انتخابه رئيساً بالرغم من اعترافه أنه كان جاهلاً وغير كُفُؤ وأنه حاد بعد عام 1967 عن الخط العروبي الذي التزم به سلام)، لم يكن ممكناً طرح اسم سلام لرئاسة الحكومة. هو حاول في البداية طرح اسم نزيه البزري لكن الترشيح لم يلقَ تأييداً ثم طرح في عام 1974 اسم رشيد كرامي لكنّ زوجته، تميمة، عارضت بشدّة وصائب يقول إنه اعتاد «أن يكون لرأي تميمة (عنده) قيمة كبرى في جميع الأمور، وليس أقلّها في الأمور السياسيّة» (ص 580، ج 2). ليس هناك من مثال لزعيم لبناني يكنّ هذا الاحترام والتقدير والحب لزوجته. هذا جانب في شخصيّة صائب لا يمكن إلا أن يحظى بالتقدير. هناك مذكّرات لساسة لبنانيّين لا يرد فيها اسم الزوجة. ويتغيّر موقف سلام من فؤاد نفّاع بين جزء وآخر. في الجزء الأوّل يقول إن نفّاع «عاقل ومتفهّم كما أن ميوله التحرّريّة والعربيّة هي عينها السردية الإسرائيليّة». يا للعجب العجاب) تصوّر الاشتباكات بين المقاومة وبين الجيش أنها كانت من أجل فرض... التوطين. وشعر صائب أنه كان هناك تفاهم أميركيّ مع سليمان فرنجيّة لتدخّل قوات أميركيّة «إذا تأزّم الوضع في لبنان» (ص. 545، ج 2). وعندما زار ياسر عرفات القصر الجمهوري في محاولة للتفاهم مع فرنجيّة سمع أحد حرس الرئيس يقول: «شو جايي هالأزعر يعمل هون». لكن عندما أرسلت مصر طيّارين لتنسيق الدفاع عن لبنان استغرب صائب ذلك ولم يعبّر عن تأييده (ص. 598، ج 2). والطريف أن صائب عندما يتحدّث عن خطبه وتصريحاته يحرص دائماً على وصفها بـ«الموفّقة»: «وكانت كلمتي موفّقة... ولقد كان ردّي عليهم بعد الظهر موفّقاً، كما كانت كلمتي عند الصباح موفّقة»، وكان هذا «التوفيق» وراء محاولة منع الحكومة نشر خطبته لكنّ الصحف نشرت خطابه وتلقّى التهاني، وتلقّى على الأرجح الدعاء بـ... التوفيق (ص. 557، ج 2).

وأورد صائب معلومات فرنسيّة عن وزير الخارجيّة المصري، إسماعيل فهمي، وأنه كان «أميركيّاً» وأنه كان ينقل إلى كيسنجر محادثاته مع ديبلوماسيّين آخرين. لم يثق الفرنسيّون به أبداً (ص. 567، ج 2). وفي تلك الفترة، بعد احتدام الصراع بين سلام وفرنجيّة (من دون أن يعترف سلام بمسؤوليّته في ترشيح فرنجية وفي انتخابه رئيساً بالرغم من اعترافه أنه كان جاهلاً وغير كُفُؤ وأنه حاد بعد عام 1967 عن الخط العروبي الذي التزم به سلام)، لم يكن ممكناً طرح اسم سلام لرئاسة الحكومة. هو حاول في البداية طرح اسم نزيه البزري لكن الترشيح لم يلقَ تأييداً ثم طرح في عام 1974 اسم رشيد كرامي لكنّ زوجته، تميمة، عارضت بشدّة وصائب يقول إنه اعتاد «أن يكون لرأي تميمة (عنده) قيمة كبرى في جميع الأمور، وليس أقلّها في الأمور السياسيّة» (ص 580، ج 2). ليس هناك من مثال لزعيم لبناني يكنّ هذا الاحترام والتقدير والحب لزوجته. هذا جانب في شخصيّة صائب لا يمكن إلا أن يحظى بالتقدير. هناك مذكّرات لساسة لبنانيّين لا يرد فيها اسم الزوجة. ويتغيّر موقف سلام من فؤاد نفّاع بين جزء وآخر. في الجزء الأوّل يقول إن نفّاع «عاقل ومتفهّم كما أن ميوله التحرّريّة والعربيّة طيّبة» (ص. 459، ج 1). أمّا في الجزء الثاني فيقول إنه تمنّع عن الاجتماع بنفّاع «لأنني غاضب على نفّاع الذي أثبتَ أنه مصلحجي التوطين». وشعر صائب أنه كان هناك تفاهم أميركيّ مع سليمان فرنجيّة لتدخّل قوات أميركيّة «إذا تأزّم الوضع في لبنان» (ص. 545، ج 2). وعندما زار ياسر عرفات القصر الجمهوري في محاولة للتفاهم مع فرنجيّة سمع أحد حرس الرئيس يقول: «شو جايي هالأزعر يعمل هون». لكن عندما أرسلت مصر طيّارين لتنسيق الدفاع عن لبنان استغرب صائب ذلك ولم يعبّر عن تأييده (ص. 598، ج 2). والطريف أن صائب عندما يتحدّث عن خطبه وتصريحاته يحرص دائماً على وصفها بـ«الموفّقة»: «وكانت كلمتي موفّقة... ولقد كان ردّي عليهم بعد الظهر موفّقاً، كما كانت كلمتي عند الصباح موفّقة»، وكان هذا «التوفيق» وراء محاولة منع الحكومة نشر خطبته لكنّ الصحف نشرت خطابه وتلقّى التهاني، وتلقّى على الأرجح الدعاء بـ... التوفيق (ص. 557، ج 2).

ووقف صائب ضد تدخّل الجيش اللبناني لأنه ارتاب في خطّة «للجنرال إسكندر غانم وجماعته» للسيطرة على الفلسطينيّين (ص. 607، ج 2). والذي يُنشر من وثائق في أميركا يعزّز انطباع صائب. كما يعترف صائب أن بيار الجميّل كان «يلعب لعبة التصعيد». والغريب أن هناك من لا يزال يصدّق أن المقاومة الفلسطينيّة هي التي أشعلت الحرب أو أجّجتها، وهي من ذلك بريئة بالرغم من كل أخطاء قيادة المقاومة وتجاوزات عناصرها.

ويذكر صائب أنه نقل إلى السفير الأميركي في بيروت رسالة من عرفات مفادها أن القيادة الفلسطينيّة لا تريد إحراج أميركا في الأمم المتحدة وأنها ستتحاشى كلّ ما من شأنه أن يحرج واشنطن «وذلك لرغبتها في مساعدة فورد وكيسنجر على الاستمرار في سياسة متوازنة بين العرب وإسرائيل» (ص. 612، ج 2). وإذا كان ذلك صحيحاً فإنه ينمّ عن قصر نظر وسوء فهم من القيادة الفلسطينيّة لأن إدارة فورد-كيسنجر كانت مسؤولة عن أفظع السياسات نحو فلسطين، ونحو منظمة التحرير أنصدباً.

ويروي صائب للمرّة الأولى فكرة إنشاء ميليشيا «رواد الإصلاح» (سرعان ما أطلق عليها أهل بيروت الظرفاء لقب «رؤاد الفضاء» خصوصاً عندما كانت سيّاراتها العسكريّة تجول الشوارع في مطلع الحرب). ينسى البعض أن صائب سلام بادر من بين القيادات الإسلامية السنّيّة التقليديّة (كما كامل الأسعد عند الشيعة) إلى تشكيل ميليشيا خاصّة به لكنها لم تعمّر — كما حالة ميليشيا الأسعد — لأن المسلمين، سنة وشيعة، نبذوا القيادات التقليديّة وانجذبوا نحو الأحزاب والمنظمات القومية واليسارية — اللبنانيّة منها والفلسطينيّة. يقول صائب إنه طرح الفكرة أمام ابنه فيصل و«ثمانية من رفاقه» (ص. 598، ج 2). وكان صائب (وابنه تمّام من بعده) يميّز نفسه عن زعماء الميليشيات في أنه نبذ السلاح مع أن الحقيقة هي أن مسعى صائب لتشكيل ميليشيا فشل بسبب هجران أهل بيروت لزعامته في الحرب.

ومن طرائف ما يرد في الكتاب أن النظام السعودي هو الذي كان يوفّق بين صائب سلام وكمال جنبلاط، زعيم الجبهة التقدمية في حينه. انتحى به الأمير عبدالله بن عبد العزيز ليعترف له بأنه يقوم بمسعى لمصالحة جنبلاط معه. وأوضح له عبدالله أنه لم يسمع من جنبلاط عنه إلا المديح، لكن المسعى لم يستمرّ لسبب خفي على صائب (ص. 613، ج 2). تتعجّب أن النظام السعودي كان حريصاً على مصالح قائد حركة مفترض أنها يساريّة وتقدميّة، لكن الأمور في لبنان لا تُؤخذ بالعناوين والشعارات والصفات السياسيّة، وإلا كان وليد جنبلاط تقدمياً واشتراكياً (معاً) بحقّ. وكان جنبلاط (الذي كان يصف صائب بـ«العميل السعودي») مواظباً على زيارة السعوديّة ويحتفظ بعلاقات حسنة معها (تقرا في جريدة «الأنوار» في 22 نيسان 1974، أن كمال جنبلاط زار السعودية والتقى بالملك وولي العهد ونائب وزير الدفاع). ويبدو أن السياسة السعوديّة في لبنان كانت متضاربة، فيروي كيف أن عمر السقّاف (الذي ناله تقريع من صائب في ما بعد) حثّ صائب على عدم قبول منصب رئاسة الحكومة فيما كان السفير السعودي في لبنان، منصور الرميح، «يصرّ» على قبول صائب بمنصب رئاسة الحكومة (ص. 616، ج 2). ولا تزال السعوديّة تتصنّع عدم التدخل في الشؤون اللبنانيّة وهي من أكبر المتدخّلين. وبلغ التدخّل السعودي درجة أن فرنجيّة طلب من الرميح أن يبرق إلى الملك فيصل ليعلمه أن تكليف صائب بات محسوماً (ص. 618، ج 2). وقبل صائب أن ينضم إلى الوفد الرسمي الذي رافق سليمان فرنجيّة عندما ألقى خطابه الهزيل في الأمم المتحدة في عام 1974. ويقول صائب إنّه اقترح على فرنجية إلقاء الخطاب بالعربيّة لكنّ فرنجيّة (وهو لا يحمل شهادة، عربيّة أو إفرنجيّة) أصرّ على إلقاء الخطاب بالفرنسيّة، وحثّ سلام عمر السقّاف على إقناع فرنجيّة بضرورة إلقاء الخطاب بالعربيّة. وعندما يذكر وفاة عمر السقّاف في الفندق في نيويورك في أثناء الرحلة، لا يفوت صائب أن يصيب عبدالله اليافي بسهامه، إذ يزعم أن اليافي أجّل زيارة غرفة السقّاف للتعزية إلى اليوم التالي (ص. 624، ج 2). ويظهر من الكتاب أن سلام كان شديد الإعجاب بحافظ الأسد ويقول إن السقّاف كان يشاطره هذا الإعجاب (ص. 616، ج 2). والاجتماع بحافظ الأسد كان جدّاً مهماً عند صائب وكان يستفيض في وصف الحفاوة والترحاب اللذيْن لاقاهما هناك. ومثل كل اجتماع أو زيارة لصائب لأي مسؤول، يكتب أنه في موافقه لاقى استحسانا وإعجاباً. يقول عن زيارته لحافظ الأسد في عام 1974: «كانت الزيارة مهمة وناجحة، ولسوف يتبيّن لي منذ وصولي إلى بيروت أن صداها في لبنان كان كبيراً حيث اعتُبرت حدثاً مهماً جداً» (ص. 627، ج 2).

ولا يخوض صائب سجالاً مع أحد إلا ويهزمه كعسكا. يقول عن جلسة حكومية في عام 1974، أن كمال جنبلاط كاد «أن يكون نجم الجلسة التي تكلّم فيها، غير أنني سارعتُ للإجابة عليه إجابة أطفأت نجمه كاملاً، خصوصاً أنني تعمّدتُ أن أروي ما كان يقوله لي رئيس الجمهورية عن كمال جنبلاط خلال جلساتي الخاصّة معه، وهكذا، كانت كلماتي في اليوم التالي هي عناوين الصحف، بينما جاء كلام كمال جنبلاط ثانويّاً» (ص. 629، ج 2). طبعاً، بحلول عام 1974، كان نجم جنبلاط أكبر وأعلى من نجم صائب لكن ذاكرة صائب يشوبها غرور فائق.

ويتوقّف صائب في كل محطة كي يثني على زوجته تميمة. واحتفل بعيد زواجه الثالث والثلاثين ويصف الزواج بـ«ثلث قرن من حياة زوجيّة مثاليّة يندر ما يشبهها في اعتقادي، حياة قامت على التوافق والتفاهم والمحبّة، بل وعلى استمرار الحبّ منذ أيّام الزواج الأولى... بكل صراحة، ما عند تميمة يندر في النساء: عقل راجح في أنوثة لا تفقد زهوها وحيويّتها، وهناء في الطباع وفي إشاعة ذلك الجوّ الهادئ في البيت وعند الأولاد والكنائن والأصهار والأولاد الأولاد. آه كم وكم عانيتُ في حياتي من تلك الأجواء السياسيّة التي كانت ولا تزال تمدّني فيها تميمة من نصح في كلّ كبيرة وصغيرة» (ص. 630، ج 2). في تلك المقاطع، وفي تلك المقاطع فقط، يظهر صائب إنساناً وعاشقاً (لكن ما قاله عن ندرة الصفة عند النساء ينمّ عن عقل ذكوري).

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

تحوّلات جوهريّة

سعدالله مزرعاني *

بعد أكثر من ثلاثة عقود على انهيار الاتحاد السوفياتي ومنظومته، بدأت تنضج عوامل موضوعية وأخرى ذاتية لتجاوز بعض النتائج الدولية الاستراتيجية لذلك الانهيار: على مستوى المستجدات والتكتلات والتوازنات. تشكّل «العملية العسكرية» الروسية في أوكرانيا أبرز مثال في هذا الصدد، من حيث هي تنتمي إلى الأسلوب الاستعماري في الشكل وتحاول مقاومته في المضمون!

كانت الآلة الإيديولوجية والسياسية والإعلامية والعسكرية الأميركية خصوصاً والغربية عموماً، روّجت، نظرياً لـ«نهاية التاريخ» (فوكاياما) معلنةً انتصار الرأسمالية الحاسم بوصفها نظاماً لا نظام بعده ولا بديل له: لإدارة العلاقات في المجتمعات وبين الدول والبشر. وأعلن هنتنغتون، استكمالاً، أن الصراع بعد الانهيار ستحدده الاختلافات الثقافية والحضارية، لا العوامل القومية أو الطبقية أو التحررية.

الأخطر، هو ما اشتقّه «المحافظون الجدد» من سياسات وخطط كونية عبّرت عنها، خصوصاً «استراتيجية الأمن القومي الأميركي» الصادرة عن «البيت الأبيض» الأميركي في أيلول عام 2002 بتوقيع الرئيس جورج بوش الابن. انطلقت تلك الاستراتيجية من أن واشنطن باتت القوة العظمى الوحيدة في العالم. وعليها، استناداً إلى ذلك، أن تضع قوتها المباشرة و«الخشنة» في خدمة مصالحها الاقتصادية والسياسية... وصولاً إلى فرض نمط الحياة الأميركية نفسه على كل الأمم الأخرى! الشرق الأوسط كان المختبر الرئيسي لتطبيق تلك الاسترتيجية. التبريرات، اتهامات مفبركة أو مخاطر كامنة أو متوقعة. الأدوات، الحرب «الوقائية» (الاستباقية). الوسيلة، الغزو والاحتلال. النموذج الأساسي كان احتلال العراق تحديداً (2003)، بعد احتلال أفغانستان أواخر عام 2001.

لم تجر الرياح كما اشتهت سفن «المحافظين الجدد» ومن ورائهم الاحتكارات والمجمع الصناعي الحربي الأميركيان. تعثرت الخطة بعد اصطدامها بمقاومة في العراق خصوصاً. كانت تلك النتيجة الخائبة ذات تأثير كبير، ما أسّس لتحولات متواصلة في التوازنات والاستنتاجات. كان بوتين، رئيساً للاتحاد الروسي، أول من اعترض، رسمياً، على «تفرّد» واشنطن بإدارة الشؤون الدولية. وهو ثابر على ذلك في مجرى إعادة للمة أوضاع بلاده وتحريرها تباعاً من المافيات التي زرعتها واشنطن، ومن الأوليغارشيا التي نهبت ثروات البلاد. تحولت روسيا، آنذاك، إلى كتلة خاملة مفكّكة وتابعة ينخرها الفساد وتعوزها الإدارة والقيادة التي تعيد النهوض بالبلاد بعد الانتكاسة التاريخية التي أدارها، رسمياً، غورباتشوف وكرّسها يلتسن. سهّلت تلك الانتكاسة، دون أدنى شك، أخطاءٌ قاتلة في التطبيق الاشتراكي على صعد ومستويات متعددة، ما عطّل دور الحزب الشيوعي وجعل العديد من سياساته وتوجهاته، الاقتصادية خصوصاً، في موقع مناقض لمصالح البلاد ومواطنيها: في التقدم والتطور الاقتصاديَّيْن، وفي العلاقة مع القسم الأكبر من المواطنين الروس أنفسهم، ومع شعوب ودول المنظومة الاشتراكية.

على نسق متناغم ما بين استعادة السلطة في الداخل، وفق نهج مصمّم وحازم منطلقه إطلاق عملية إعادة بناء القطاعات الاقتصادية والعسكرية والإعلامية، فضلاً عن العلاقات الدبلوماسية النشيطة، واصل الرئيس الروسي (بعد تأمين استمرارية إمساكه بالسلطة) نهجه في بناء عناصر القوة لروسيا المؤهلة بفضل طاقاتها العلمية وثرواتها الطبيعية، لتعود دولة عظمى على النحو الذي كانته: بمستوى يقل أو يزيد. أول اختبار كبير واقتحامي له كان في التدخل المؤثر في سوريا آخر أيلول 2015.

في الموازاة، واصلت الصين تقدمها نحو المنافسة على بلوغ حجم الاقتصاد الأول في العالم بعد أن تخطّت اليابان وألمانيا. وهي أقرّت منذ عقد من الزمن مشروع «الحزام والطريق»، صيغة متجددة لـ«طريق الحرير» وأسلوباً لتظهير وتطوير حجمها الاقتصادي الاستراتيجي العالمي: حلقة «رئيسية في الخروج إلى العالمية السياسية أيضاً، استكمالاً لنجاحاتها الاقتصادية المذهلة، وحماية وتطويراً لتلك النجاحات. التقارب الروسي الصيني السريع والمواظب فاجأ واشنطن أيضاً. كذلك فاجأت واشنطن التشكيلات والتكتلات الاقتصادية التي حملت اسم «البريكس» ومجموعة «شنغهاي للتعاون»، التي تضم أكبر دول العالم من حيث المساحة والسكان والثروات الطبيعية، والتي انضمت إليها إيران، أخيراً، بعد مسارٍ من التعاون والتقاطعات: السياسية والاقتصادية، من سوريا إلى فنزويلا إلى تايوان.

إلى ذلك وسواه، كانت سياسات وعلاقات ومواقف واشنطن وحلفائها تثير المزيد من التناقضات الاجتماعية داخل بلدان المتروبول الغربية المنتصرة. حصل ذلك بسبب تغوّل الاحتكارات وهجومها الشرس على مصالح الشغيلة، الذي أدّى ذلك إلى دفع عشرات الملايين للتشرد والبطالة، وسط تصعيد عنصري يميني ومتطرف ضد شعوب بكاملها، وضد الملوّنين والأجانب، والمسلمين خصوصاً بتهم الإغراق العرقي والتخلف والإرهاب، وصولاً إلى تطرف وجموح ترامب وبناء الجدار الفاصل مع المكسيك ومعاداة شعوب بكاملها ودعم غير مسبوق للعدو الصهيوني.

واصلت الإدارات الأميركية نفس سياسات الهيمنة والاستئثار والتفرد والإضعاف، ولو كان الهدف حليفاً: في أوروبا العجوز (خروج بريطانيا بتشجيع أميركي)، أو في دول الخليج التابعة (ثمن الحماية). وهي واصلت العمل بكل السبل بما فيها القذر، لإبقاء البلدان النامية خاضعة ومفكّكة وخصوصاً في الشرق الأوسط. هذه المنطقة استمرت، بالفعل، محطة أساسية لخطط واشنطن ما بعد الحرب الباردة. منها انطلقت سياسة الغزو والاحتلال، وفيها تتركز الآن سياسة التفتيت والتفكيك وتغذية النزاعات الداخلية والحروب الأهلية: في سوريا والعراق وليبيا واليمن والسودان وتونس واليمن، وحالياً في لبنان. وذلك بالتكافل والتضامن مع العدو الصهيوني ولمصلحة هذا الأخير بالدرجة الأولى.

انتهاء «الحرب الباردة» لم يجعل العالم «مكاناً أفضل»، كما روّجت الدعاية الأميركية: بسبب الأطماع وجموح الهيمنة الأميركية بالدرجة الأولى. راوحت الأزمات القديمة في مكانها وأُضيفت إليها أزمات وحروب جديدة. ازداد الاستثمار والاستغلال الرأسماليان إلى حدود التوحش. بعد فشل مغامراتها العسكرية لجأت واشنطن إلى «الحرب الناعمة» التي تعتمد بالدرجة الأولى على التدخل غير المباشر (غالباً) عبر إثارة وتأجيج التناقضات والعصبيات والخلافات، ومن ثم استغلالها لفرض الشروط والسياسات أو لتغييرها.

مواجهة الخطط والسياسات والتدخلات الأميركية تتزايد على مستوى العالم، وفي منطقتنا أيضاً. وهي تفرض توازنات وتحولات جوهرية. إنه الشكل الجديد للصراع الطبقي بأساليب وأدوات جديدة. قبل أكثر من مئة عام أضاف لينين إلى شعار ماركس «يا عمال العالم اتحدوا» و«يا أيتها الشعوب المضطهدة أيضاً». ذلك يصح الآن أكثر من أي وقت مضى!

* كاتب وسياسي لبناني

سوريا في ما يبدو خطوةً مقابلةً لقيام الحكومة السورية بافتتاح مركز مصالحة خاص بإدلب، وجّهت تركيا الفصائل الموالية لها بفّرب افتتاح ثلاثة معابر تصل بين مناطق سيطرة دمشق والشمال السوري، بشكل دائم، تسهيلاً لمسار عودة اللاجئين والنازحين السوريين إلى مدنهم وقُراهم. وعلى رغم أهمّية هذه الخطوات على طريق إعادة تطبيع العلاقات بين دمشق وأنقرة، إلّا أن الأخيرة لا تزال تُظهر تذبذباً في أدائها، يجلّيه مثلاً، وقف مارشّح من اجتماعات نيويورك، إصرارها على تأجيل البحث في مسألة تواجُدها العسكري في سوريا، فضلاً عن استمرارها في طرْح مشروع «مدن الطوب»، المموَّل قطرياً، كحلّ لمعضلة اللاجئين، تتمسّك دمشق في المقابل برفضه

توجيهات بافتتاح معابر الشمال
أنقرة تبادل دمشق خطواتها

علاء حلبي

على هامش اجتماعات الجمعية العامّة للأمم المتحدة في نيويورك، عَقد وزراء خارجية «مسار أستانا» (روسيا وإيران وتركيا) اجتماعاً مغلقاً، انضمّ إليه لاحقاً الموفد الأممي إلى سوريا، غير بيدرسن، لمناقشة سُبُل دفع العملية السياسية قُدُماً، بالإضافة إلى ملفّ المساعدات الإنسانية وطرق تسريع وتيرة إيصالها وإزالة العوائق من أمامها. وفي وقت خرج فيه البيان الختامي للاجتماع بنبود عريضة تضمّنت التشديد على ضرورة إحياء مسار «اللجنة الدستورية»، تُفيد مصادر معارضة متطابقة بأن خطوات الانفتاح بين تركيا وسوريا، والعقبات التي تُواجهها، استحوذت على معظم أجندة اللقاء. وتكشف المصادر، في حديث إلى «الأخبار»، أن تركيا كانت جهّزت ورقة عمل حملتْها معها إلى نيويورك، تشتمل مجموعة قضايا من بينها الوجود العسكري التركي في سوريا، والذي تُطالب دمشق بإنهائه كخطوة أوّلية للانفتاح بين البلدَين. وفي هذا الصدد، «أعادت أنقرة الحديث مرّة أخرى عن ضرورة وجود هذه القوات في المدى المنظور، وإمكانية سحْبها وفق جدول زمني محدّد مقرون بخطوات مقابلة على الأرض، تكفّل إبعاد خطر الأكراد من جهة، وحلحلة واضحة لملفّ النازحين واللاجئين، بالإضافة إلى تحقيق قفزة في مسار الحلّ السياسي، وفق المصادر نفسها. ويأتي ذلك وسط توقّعات بعودة نشاط «الدستورية» خلال الشهرَين المقبلَين، بعدما جرى حلّ المشكلة الرئيسة التي جمّدت مسارها، والمتمثّلة في الخلاف على مكان عقد اجتماعاتها (مدينة جنيف السويسرية) على خلفية تخلّي سويسرا عن حيادها وانضمامها إلى الحملة الغربية على روسيا. وكانت تركيا حاولت تجاوُز هذه العقبة، عبر اقتراح نقْل الاجتماعات إلى مدينة إسطنبول، وفق ما أفادت به مصادر مطّلعة «الأخبار»، في شهر تموز الماضي، وهو عرْض جرى رفضه في حينه. في السياق نفسه، تُفيد مصادر سورية معارضة واكبت مجموعة

> استغلّ إردوغان كلمته أمام الأمم المتحدة لطلب المساعدة في إتمام بناء «مدن الطوب»

لقاءات عقدها مسؤولون عسكريون واستخباراتيون أتراك مع عدد من ممثّلي الفصائل المعارضة وسياسيين معارضين، في حديث إلى «الأخبار»، بأن أنقرة «حاولت، خلال تلك اللقاءات، تقديم تطمينات بأن قوّاتها لن تنسحب من سوريا في الوقت الحالي، كما لن تتركها بشكل مفاجئ، وأن الأمر برمّته مرتبط بعوامل أخرى تُجري دراستها». وإذ فسّر المعارضون ذلك بأنه «وعْد بعدم الانسحاب»، فإن المصادر تعدّ هذا التفسير «غير دقيق»، مبيّنةً أن «حديث الأتراك كان واضحاً بأن الأمر مرتبط مجموعة عوامل، قد تسير بشكل عاجل أو قد تتطلّب مزيداً من الوقت». وجاءت الاجتماعات المُشار إليها في أعقاب توسيع الولايات المتحدة نشاطها في الشمال السوري، وسعيها لتمتين جسور تواصلها مع الفصائل المعارضة، الأمر الذي اعتبرته تركيا جرس إنذار بوجود نيّة لسحب ملفّ المعارضة من يدها، وهو ما حَملها على بدء مساع مضادّة انتهت إلى إفشال محاولات توحيد الفصائل وسياسيين معارضين، في حديث إلى «الأخبار»، بأن أنقرة «حاولت، خلال تلك اللقاءات، تقديم تطمينات بأن قوّاتها لن تنسحب من سوريا في الوقت الحالي، كما لن تتركها

حاولت أنقرة تقديم تطمينات للفصائل المعارضة بأن قواتها لن تنسحب في الوقت الحالي (أ ف ب)

جرى إغلاقها سابقاً تصل مناطق سيطرة الحكومة السورية بالشمال السوري كاملاً. وشدّدت تركيا على أن المعابر المُشار إليها ستُفتح بشكل دائم، على خلاف الآليّة القائمة حالياً والمقتصرة على تشريعها خلال إرسال المساعدات الإنسانية عبر الخطوط فقط.

وفي حين يبدو أن تركيا ستعمل على استثمار تلك الخطوة سياسياً، عبر ربطها بالمفاوضات الأمنية والعسكرية القائمة مع سوريا، فإن إعادة الرئيس التركي، رجب طيب إردوغان، في كلمته أمام الجمعية العامّة للأمم المتحدة، طلب المساعدة لإتمام عمليات بناء «مدن الطوب» قرب الحدود، والتي تمثّل إحدى النقاط الخلافية بين دمشق وأنقرة، تُشي بأن الأخيرة تريد جنْي مكاسب كبيرة من مسار الانفتاح على جارتها، على رأسها التخلّص من عبء اللاجئين السوريين.

في مقابل تقديم تنازُلات محدودة كورقة ضغط، في حال لم تنجح مساعي التقارب مع دمشق». ومع ذلك، تتخوّف قيادات «الائتلاف» من تكرار تجربة «المجلس الوطني»، الذي خرج من المشهد السياسي بقرار تركي صدر في أيلول من عام 2012، أجبره على التسليم

> تتخوف قيادات «الائتلاف» من تكرار تجربة «المجلس الوطني»

للحوار مع الحكومة السورية»، معتبرةً أن «الحكومة التركية تريد الاحتفاظ بهذا التشكيل المعارض

من قِبلها، لا تضرب جوهر المشاريع القائمة حالياً، والمموّلة من قطر التي باتت تمثّل رأس الحربة في المشروع الأميركي في سوريا.

غليان في إدلب والجولاني يستعرض

تعيش مدينة إدلب، هذه الأيام، حالة غليان على خلفية تصاعُد عمليات الضغط التي تمارسها «هيئة تحرير الشام» (جبهة النصرة سابقاً) على العناصر غير السورية المنتشرة في المحافظة، سواءً المنضوية في صفوفها أو في صفوف فصائل راديكالية أخرى لا تزال تحتفظ بحضور محدود هناك. كما يأتي هذا التوتّر على وقْع استمرار جهود التخلّص من العناصر والقيادات «غير المنضبطة» التي عبّرت صراحة عن عدم رضاها على مشروع زعيم التنظيم، أبو محمد الجولاني، الذي تحوّل، بالنسبة إليها، إلى أداة بيد تركيا. وسُجّلت ليل الأربعاء - الخميس اضطرابات أمنية على صعيدَين متوازيَين: الأوّل في الشارع، بعد اعتقال مقاتل رَفض الخروج من منزل يعيش فيه مع عائلته إثر تهجير سكّانه؛ والآخر في أروقة «الهيئة» نفسها، وتحديداً في صفوف القيادتَين العليا والمتوسّطة، وفق ما أفادت به مصادر في إدلب «الأخبار».

وفي وقت تناقلت فيه مصادر «جهادية» عبر مواقع التواصل الاجتماعي أنباءً عن «انقلاب» يجري تدبيره ضدّ الجولاني، أوضحت مصادر «جهادية»، في حديث إلى «الأخبار»، أن ثمّة اضطراباً داخلياً فعلاً في صفوف «تحرير الشام»، غير أنه لم يرْقَ بعد إلى مستوى «انقلاب»، في ظلّ الدعم الكبير الذي تقدّمه تركيا للرجل الذي أثبت ولاءه لها. وفسّرت المصادر الحشود الأمنية والعسكرية التي ظهرت في شوارع المدينة بأنها «عملية استعراضية أراد الجولاني القيام بها للتأكيد على نفوذه وقدرته على ضبط المدينة»، مشيرة في الوقت ذاته إلى استمرار عمليات إخراج المقاتلين من منازل العائلات المهجّرة لتمهيد الأرض لإعادة ما يمكن إعادته من السكّان إلى منازلهم، وفق التوجيهات التركية. والجدير ذكره، هنا، أن تلك التوجيهات أرفقت بوعود باستمرار تدفُّق المساعدات، سواءً عبر معبر باب الهوى (عبر الحدود) أو عبر خطوط التماس مع دمشق، حيث جرى إدخال قافلة مطلع الأسبوع الحالي، فضلاً عن وعد بحلّ ملفّ إدلب سياسياً، والعمل على منع أيّ انزلاق إلى مواجهات مسلّحة قد تُعيق جهود إعادة اللاجئين.

تركيا تنقّط دعمها لـ«الائتلاف»: بوادر تخلٍّ

أنقرة ـ الأخبار

يعيش «الائتلاف السوري» المُعارض إحدى أسوأ أزماته المالية، منذ تأسيسه عام 2012، وفق ما تُفيد به مصادره في تركيا، «الأخبار». وفيما تمّ تحميل صندوق «الائتلاف» نفقات سفر قيادته إلى نيويورك لحضور اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، تمكّنت «هيئة التفاوض»، بعد دقّ أبواب كثيرة، من تأمين هذه النفقات، بحصولها على منحة من «منظّمة ألمانية غير حكومية»، لم يُكشف عن اسمها، جنّبت قيادات الهيئة تحمُّل تكاليف السفر، على رغم مداخيلهم العالية من مشاريعهم الاستثمارية الخاصة في تركيا. وتُبيّن المصادر، التي فضّلت عدم الكشف عن هويتها، أن خفْض تمويل «الائتلاف» جاء بشكل تدريجي من قِبَل قطر وتركيا، فيما خفّضته دول أخرى بشكل مفاجئ منذ عام ونصف عام تقريباً، موضحةً أن أولى الخطوات في هذا المسار كانت في آذار الماضي، بإغلاق سلسلة من مكاتب «الائتلاف» في المدن التركية، وأهمّها أنقرة، لتحتفظ لنفسه بمكتبه في إسطنبول، مع تكليف مُمثّليه في بقيّة المدن بتنفيذ مهامهم من مقارّ إقاماتهم الشخصية. أمّا آخر «المصائب» فقد وقعت خلال اجتماع مع ممثّلين عن الجانب التركي في 21 آب الماضي، حيث أبلغت أنقرة «الائتلاف» أنها قرّرت تنزيل قيمة ما تمنّحه كرواتب لأعضائه بسبب «الأزمة الاقتصادية التركية»، وفقاً للتبرير الذي سِيق خلال الاجتماع.

وجهد «الائتلاف»، خلال الأسابيع الماضية، لنفْي الأنباء عن تبلّغه «أوامر» من تركيا بإغلاق مكاتبه وخروجه من أراضيها، في إطار خطوات التقارب مع الدولة السورية. وفي هذا الصدد، تؤكّد المصادر «أن لا وجود لمثل هذه الأوامر حتى الآن، على رغم تبلّغ الائتلاف خلال الاجتماع ذاته الشهر الماضي، بضرورة التحضّر

بحد قادة «الائتلاف» الحاليون أن تشكيل جسم معارض ثالث لا أهمّ محتمل (أ ف ب)

> تتخوف قيادات «الائتلاف» من تكرار تجربة «المجلس الوطني»

لقيادة التشكيل الوليد (الائتلاف)، والتوقّف عن ممارسة أيّ نشاط سياسي مستقلّ، مع انقطاع التمويل عنه، والذي كانت مصدره دول عربية عدّة. ويجد قادة «الائتلاف» الحاليون أن تشكيل جسم معارض ثالث يكون أكثر مرونة في التعامل مع دمشق، أمر محتمل التنفيذ من قِبَل تركيا، لذا من غير المستبعَد بالنسبة إليهم توقُّف التمويل المخصَّص لهم من أنقرة والدوحة بشكل نهائي، ما سيعني لاحقاً ضرورة إغلاق مكتبهم الأخير في تركيا، وعدم السماح لهم بافتتاح مكاتب جديدة في الشمال السوري، ليكونوا بهذا مجبَرين على أحد أمرَين: إمّا اعتماد النمَط التركي في التفاوض مع دمشق، أو الاندماج في الجسم السياسي سيتبنّى المشروع التركي الجديد.

في هذا الوقت، يقود سالم المسلط تيّاراً داخل «الائتلاف» يصرّ على إجراء انتخابات لمكاتبه، بدلاً من التمديد للمكاتب الحالية لمدّة عام. ويدفع المسلط، الرئيس العاشر لـ«الائتلاف»، في ذلك الاتّجاه بالاتّكال على اطمئنانه إلى أن نتيجة الانتخابات ستأتي لصالحه، ما سيمنحه ولاية لمدّة عامَين بدلاً من التمديد لعام إضافي واحد. وأجّل البتّ في تلك المسألة أكثر من مرّة نتيجة الخلافات بين حلفاء المسلط أنفسهم؛ ففي حين أن نائبَي الرئيس، عبد الحكيم بشار وربا حبوش، يؤيّدان التمديد بقوّة لضمان استمرارهما في منصبَيهما، في ظلّ استنفادهما فُرص ترشّحهما وفقاً للنظام الداخلي الجديد لـ«الائتلاف» - وهو خيار يُلقى دعماً أيضاً من قِبَل العسكر لكونه يبقي له على تمثيل قوي في الهيئة السياسية -، تنحو بقيّة الكتل من مثل العشائر والمجلس التركماني وممثّلي الأكراد، إلى المطالبة بالانتخابات، لِما تجده فيها من فُرصة لتحقيق مكاسب، وتوسيع نفوذها في التشكيل المعارض.

الحدث

وارثة موسوليني تتصدّر... الفاشيست الجُدد على أبواب روما

في استعراض أخير للقوّة قبيل الانتخابات العامّة الاستثنائية في إيطاليا هذا الأحد، ظهرت جورجيا ميلوني، زعيمة «حركة الإخوة الإيطاليين»، وصاحبة الحظّ الأوفر في تولّي منصب رئاسة الوزراء، برفقة ماتيو سالفيني، زعيم «حزب الرابطة»، وسيلفيو بيرلسكوني، زعيم «حركة فورزا إيطاليا»، في حشد انتخابي كبير، حيث قدّم هؤلاء أنفسهم للجمهور الإيطالي القلِق من مصاعب ارتفاع كُلَف المعيشة، كجبهة يمينيّة موحّدة. تبدو - وفق استطلاعات الرأي - المرشّح الأوّل لتولّي إدارة البلاد في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ أوروبا والعالم، في ظلّ المواجهة الأميركية - الروسية المتصاعدة. ويخشى كثيرون من أن تلتحف روما، نتيجة لتلك الانتخابات، بكتلة دُول وسط أوروبا والتي باتت تسيطر عليها تيّارات يمينية متطرّفة المقبلة، كان قبل الحرب على أوكرانيا من أشدّ المعجَبين بالرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، وهو مدعوم بمصالح اقتصادية نشأت على أساس تموضُع إيطاليا كجسر يربط أوروبا بروسيا والصين. وقد جار سالفيني بالشكوى علناً خلال حملته الانتخابية من الخسائر التي تسبّبت بها العقوبات ضدّ روسيا للاقتصاد الإيطالي، ونُقل عنه قوله: «لقد اختارت أوروبا فرض عقوبات بعد

لندن ـ سعيد محمّد

إذا صحّت تنبّؤات استطلاعات الرأي، فستُخرج إيطاليا من الانتخابات العامّة الاستثنائية التي ستُجرى يوم الأحد، بحكومة يمينية متطرّفة جديدة تقودها جورجيا ميلوني، زعيمة «حركة الإخوة الإيطاليين»، التي يبدو أنها وحليفها الشعبوي ماتيو سالفيني، زعيم «حزب الرابطة»، في طريقهما إلى تحقيق انتصار حاسم على يسار الوسط المنقسم بشدّة، وتولّي تشكيل الحكومة الإيطالية السبعين منذ قيام الجمهورية عقب الحرب العالمية الثانية. وتتمتّع الحركة بتأييد رُبع الجمهور الإيطالي على الأقلّ، وقد تعزّزت شعبيّتها بشكل كبير جرّاء بقائها خارج حكومة ماريو دراغي المستقيلة، والتي حاولت تبنّي خيارات اقتصادية واستراتيجية لم تحظَ بتأييد عريض. ومن المرجّح الآن أن ائتلافاً يجمع «الإخوة الإيطاليين» و«الرابطة» سيحظى بعدد كافٍ من المقاعد في البرلمان، لنيْل الفرصة لتشكيل أوّل حكومة يمين متطرّف تَحكم البلاد منذ أيّام الديكتاتور الفاشي، بينيتو موسوليني.

وعزّزت الحركة فُرص زعيمتها الشابّة العنيدة، في أن تكون أوّل سيّدة تفوز بمنصب رئيس الوزراء في الجمهورية، بعدما وضعت ماخذها على سيلفيو بيرلسكوني، رئيس الوزراء الإيطالي الأسبق جانباً، وشكّلت مع حزبه «فورزا إيطاليا» (إيطاليا إلى الأمام)، إضافة إلى «الرابطة»، ائتلافاً يمينياً عريضاً يُفترض أن يكون قادراً على منْح حكومة ميلوني المحتمَلة منصّة استقرار سياسي تسمح لها بقيادة البلاد لخمس سنوات مقبلة. وظهرت ميلوني (الخميس) في استعراض أخير للقوّة قبل الانتخابات، برفقة سالفيني وبيرلسكوني، أمام حشد انتخابي كبير، حيث قدّم هؤلاء جميعاً أنفسهم للجمهور الإيطالي القلِق من مصاعب الارتفاع الجنوني في كُلَف المعيشة، كجبهة يمينيّة موحّدة «قادرة على أن تُعيد للإيطاليين مجدهم» - على حدّ تعبير ميلوني -.

ومع أن توقّعات المراقبين تقول بأن هذه الانتخابات ستشهد إقبالاً جماهيرياً متدنّياً بسبب فقدان كثير من الإيطاليين الثقة بمجمل العملية السياسية في البلاد، إلّا أن عواصم كثيرة ستترقّب إعلان النتائج المتوقّع يوم الإثنين. ويخشى البيروقراطيون الليبراليون في المفوضية الأوروبية (حكومة الاتحاد الأوروبي) من أن تلتحق روما، نتيجة لهذه الانتخابات، بكتلة دُول وسط أوروبا (بولندا وهنغاريا والتشيك)، والتي باتت تسيطر عليها تيّارات يمينية متطرّفة طالما أثارت الصخب داخل الاتحاد الأوروبي، وهدّدت في غير مِفصل وحدة توجّهاته الاقتصادية والسياسية. وعلى الجانب الآخر من الأطلسي، لا ترغب الإدارة الديموقراطية للولايات المتحدة في رؤية فيكتور أوربان آخر - الزعيم الهنغاري اليميني - يشاغب داخل التحالف الذي تقوده في «حربها العالمية» على روسيا. وكان أوربان، الذي تحظى حكومته بأغلبية مطلقة في بلاده، نجح في فرض إرادته غير مرّة للحصول على استثناءات من سلسلة العقوبات المتلاحقة التي فرضتها بروكسل وواشنطن على موسكو.

ولا تجد الولايات المتحدة أيّ محاذير إيديولوجية في التعامل مع حكومات يمينيّة التوجّه، وهي تاريخياً مكّنت اليمين بتلاوينه من الهيمنة على السلطة والنفوذ عبر القارّة الأوروبية. إلّا أن هذه التيّارات المتطرّفة، شعبوية الطابع، تستند الآن إلى تأييد واسع من بوّابة وعودها بتقديم بديل عملي لحكومات النخب الليبرالية - بعدما أظهرت الأخيرة فشلاً ذريعاً في إدارة مترتّبات الأزمة الاقتصادية العالمية التي تعمّقت نتيجة الصراع الأميركي - الروسي المفتوح على الملعب الأوكراني -، وهي مضطرّة إلى محاولة إرضاء جمهورها عبر رفض إخضاعه لسياسات إفقار وتهميش وسلب اقدمت على انتهاجها تلك الحكومات خدمةً لانخراطها في المجهود الحربي العسكري والاقتصادي ضدّ روسيا. وهذا بالطبع، قد يتسبّب بصُداع إضافي للأميركيين، الذين يريدون التزاماً حديدياً داخل التحالف المناهض للروس.

من جهتها، تُتابع موسكو الانتخابات الإيطالية باهتمام؛ إذ من المعروف أن سالفيني، المرشّح للعب دور قويّ في المشهد السياسي الإيطالي خلال الفترة المقبلة، كان قبل الحرب على أوكرانيا من أشدّ المعجبين بالرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، وهو مدعوم بمصالح اقتصادية نشأت على أساس تموضُع إيطاليا كجسر يربط أوروبا بروسيا والصين. وقد جار سالفيني بالشكوى علناً خلال حملته الانتخابية من الخسائر التي تسبّبت بها العقوبات ضدّ روسيا للاقتصاد الإيطالي، ونُقل عنه قوله: «لقد اختارت أوروبا فرض عقوبات بعد

> تستند التيّارات المتطرّفة إلى تأييد واسع من بوّابة وعودها بتقديم بديل عملي للحكومات الليبرالية

الحرب. هذا جيّد، لكن لا يمكن دفع ثمن العقوبات من قِبَل العائلات والشركات الإيطالية». كما خطاب سالفيني أنصاره بالقول: «إن التدابير التي فرضتها أوروبا ضدّ موسكو لا تؤثّر في أولئك الذين أطلقوا العنان للحرب - بوتين كما الوزراء والأوليغارشية والجنرالات الأوروبيين -. إن مَن يدفع تكلفة العقوبات الباهظة هو أنتم».

أمّا ميلوني، التي بدأت مسيرتها السياسية كناشطة مراهقة في الجناح الشبابي لـ«الحركة الاجتماعية الإيطالية» الفاشية الجديدة، وتُعتبر نفسها وريثة شرعيّة لتراث موسوليني، فهي شخصية تارية لا تخشى التعبير عن رأيها، وقد وصفت بيروقراطيي بروكسل بأنهم «عملاء للنخب العالمية العدمية التي يقودها التمويل الدولي»، ولم تستبعد إعادة النظر في مبدأ استخدام اليورو - العملة الأوروبيّة الموحّدة -، على رغم أنها تعهّدت بمُواصلة سياسات حكومة دراغي المنتهية ولايتها لناحية دعم أوكرانيا عسكرياً، والتشدّد بشأن العقوبات المفروضة على روسيا. وبين هذه وذاك، يَبرز بيرلسكوني، «تايكون» المال والإعلام العائد إلى السياسة الإيطالية بعد غياب، والذي يكاد يمثّل مدخَل بروكسل الوحيد إلى الأئتلاف المتوقّع له أن يَحكم روما ابتداءً من الأسبوع المقبل، وذلك بحُكم علاقاته القديمة بالنُخب الليبرالية الأوروبية، وتاريخه التوافقي مع المفوّضية أيّام ولايته.

وتبدو كلّ من روما وبروكسل، الآن، بحاجة إحداهما إلى الأخرى، أكثر من أيّ وقت مضى. ومن هنا، يمكن ترجيح تَواري الحسابات الإيديولوجية للائتلاف اليميني الثلاثي، عندما تخوض حكومة قد يؤلّفها، الاختبارات الحقيقية لتولّي السلطة، إذ تعتمد إيطاليا على حُزمة دعم من الاتحاد الأوروبي بقيمة 200 مليار يورو للمساعدة في إعادة إنعاش اقتصادها الضعيف، وهي تُواجه استحقاقات حاسمة حول استدامة ديونها السيادية التي تبلغ قيمتها نحو 3 تريليونات دولار، ويتعيّن عليها الامتثال لالتزاماتها أمام الاتحاد الأوروبي، بما في ذلك الإصلاحات الهيكلية التي وعدت بها كجزء من برنامج التعافي من «كوفيد 19»، إنْ أرادت الاستفادة من حُطّة جديدة لشراء السندات الحكومية من البنك المركزي الأوروبي، تهدف إلى الحفاظ على تكاليف الاقتراض من التصاعد. ولذا، فإن الحكومة الجديدة ستضطرّ، على الأرجح، إلى مجاراة القوى الأوروبية الرئيسة، من مِثل فرنسا والمانيا، فيما يُتوقّع أن يكبح موقفها الاقتصادي المتذبذب جماح تَوجّهاتها التصادمية. وفي الوقت نفسه، فإن بروكسل تظلّ مُعوزةً إلى دعم إيطاليا - ثالث أكبر اقتصاداتها حجماً - في نسْخ استجابة منسّقة لظروف ساحة المعركة المتغيّرة مع روسيا، في وقت يحاول فيه التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة إحكام الحصار الاقتصادي على الأخيرة، وآخر وجوهه تحديد سقف لأسعار النفط.

إذاً، على الأغلب، ستستيقظ روما، صباح الإثنين، على حكومة تقودها سيّدة اتية من قلْب ثقافة اليمين المسيحي المحافظ الفاشي، يدعمها ائتلاف شعبوي لا يكنّ وداً لبروكسل. لكنّ السياق الكلّي للحدث العالمي لا يسمح بالكثير من «العبث الإيديولوجي»، حيث ستراقب بروكسل - وواشنطن أيضاً - بتمعّن كلّ خطوة ستُقدم عليها تلك الحكومة العتيدة. وما لم تكن الأخيرة مستعدّة لجرّ إيطاليا نحو إفلاس مالي تام، فليس لها إلّا أن تمشي في الدرب الذي اختطّه دراغي في رحلته (حزيران الماضي) على متْن قطار أخذه مع قادة فرنسا وألمانيا إلى كييف. فهل سترى تالياً ميلوني في ضيافة فولوديمير زيلينسكي - الرئيس الأوكراني -؟ هي مسألة أيام لا أكثر.

تعتبر ميلوني نفسها تعتبر نفسها وريثة شرعية لتراث موسوليني (أ ف ب)

البلاد

«ستسقطون»

مطر عدوان

خلال غزوة القوى الأمنية على نابلس لاعتقال مُصعب اشتيه وعميد طبيلة، المطلوبين للاحتلال، ليلة 20 أيلول الجاري، قتل عناصر من تلك القوى الأمنية التابعة للسلطة المواطن فراس يعيش (53 عاماً)، وهو شقيق الشهيد أمجد يعيش الذي استشهد برصاص الاحتلال قبل سنوات.

استشهد فراس، بينما كان يتظاهر محتجاً مع أقرانه من أهالي نابلس، رفضاً لما تقوم به هذه القوى الأمنية التي يفترض بها حماية الفلسطينيين، فيما هي تقوم، على الأقل ضمنياً، بحماية دولة الاحتلال. وعلى الرغم من قول قادة السلطة عكس ذلك، فإن كل ما يجري على الأرض يؤكد أن السلطة بقواها الأمنية تنفذ أجندة إسرائيلية، بعدما عجزت حتى الآن عملية «كاسر الأمواج» عن تحقيق أهدافها بوأد المقاومة في شمال الضفة.

وحتى لا يسأل «سحيح» للسلطة، أين هذه المقاومة؟ فالإجابة ببساطة، إن ما تفعله تلك القوى والكتائب المنظمة وغير المنظمة أشرف وأنظف بكثير مما تفعله السلطة بالشباب الفلسطيني. الفرق كبير جداً وصارخ، بين من يقاتل عدوه ولا يتركه يرتاح في المناطق المحتلة، وبين السلطة التي توجّه جهد شبابها الفلسطينيين أولاً وآخراً نحو أبناء شعبها.

إن ما تفعله السلطة الفلسطينية فقط في هذه المرحلة هو تقسيم الشعب الفلسطيني المقسم بخبرات «مطبخ أوسلو»، فالفعل الذي جرى منذ أيام بمحاولة اعتقال شاب فلسطيني مطلوب للاحتلال، وقتل مواطن، لن يفعل أي شيء، سوى أن بعض البنادق ستوجّه رصاصها نحو السلطة، لا من أجل احتراب داخلي (لا قدر الله) بل من أجل كفّ يد السلطة ورجالاتها الذين يعتقدون أنهم أكبر من شعبهم المضحي والمستعد للتضحية كل يوم، وقد ضحى منذ وجود الانتداب البريطاني وما بعده.

وهنا يبدو أن العقل الأمني الفلسطيني في السلطة متكبر أكثر من أي شيء آخر، وينظر بسخرية إلى الفلسطينيين، ولو أنه فكّر مرة بأن هذا الشعب الذي ما مل ولا كل (قلة من تقول إنها اكتفت من المواجهة) سيستمر يقاتل، ولن توقفه لا سلطة ولا منظمة ولا حركة ولا حزب ولا تكليف شرعي ولا مبايعة. فهذا الشعب المخذول من قيادته يصنع معجزته الشخصية، الفلسطينية. فالعقل الأمني الفلسطيني المتكبر على شعبه، والمتكبر على تضحياته، أصغر بكثير من أن يتمكن على طريقة الأمن العربي من قمع شعبه. والتمثيل هنا فقط لأن السلطة الفلسطينية استنسخت الأنظمة العربية مجتمعة، وكأنت هي، إلا أنها نسيت أن الشعب الفلسطيني لم يُحكم حتى اليوم من دولة، كانت بريطانيا، فكانت احتلالاً، وكانت إسرائيل، فهي احتلال، وأتت السلطة، ولم يشعر الفلسطينيون بأنهم مواطنون في دولة، وذلك لأن السلطة نفسها لم تشعر بأنها دولة، ولا الاحتلال أعطاها مكانتها كدولة. فحين يحدث، في يوم من الأيام، أن يمر الفلسطيني من معبر الكرامة نحو الأردن، من دون أن يمر على الإسرائيليين، فحينها قد يشعر الفلسطيني في الضفة بأن أفقاً ما يفتح. وفي ظل الظروف الراهنة، يبدو من الصعب أن يرى هذا الأفق النور، وعلى السلطة أن تدرك أن الانفجار بات وشيكاً، لا لشيء، بل لأنها طبيعة التاريخ.

وإن كانت غزوة نابلس أو جنين أو أي مدينة أخرى، رسالة موجّهة إلى من يهمه الأمر، للإسرائيلي الذي في الغالب جرى ذلك بالتنسيق معه، وللأميركي راعي إسرائيل، وللأوروبي الذي يموّل «مؤسسة» السلطة، وللدول العربية المعنية، فمهمة الرسالة إيصال الخبر بأنها ما زالت قادرة على حفظ «الأمن» ووقف العمليات ضد الاحتلال، وأنها لم توقفها، لتقول هذا ما يحدث إن انتهت السلطة. لكن هل إسرائيل معنية أصلاً بإنهاء السلطة، وهل هي مستعدة لأن تتولى المهام الموكلة للسلطة؟ بالتأكيد، لا يرغب هذا الاحتلال، المستريح بفضل السلطة، في أن يدفع قرشاً واحداً ثمناً لاحتلاله، ولا يريد أن يتولى شؤون النظافة والتعليم والتوظيف ووو، ويتلقى الضربات اليومية من الفلسطينيين (أكثر من اليوم بالتأكيد). العقل السياسي الفلسطيني يريد أن يوصل تلك الرسائل، وإسرائيل تعلم الأمر جيداً، ومثلها أميركا. لكن كل تلك الجهات، لأنها لا تكترث بالشعب الفلسطيني، ولا بوجوده، ولا بأهمية وجوده (هذا بفضل السلطة أيضاً) ستفكر وتقرّر ما يحفظ أمن إسرائيل ومصالحها، إلا أن المضحك أن الشعب «غير المهم» يكتب واحدٍ منه الآن، ويقرأ واحدٍ منه أيضاً «ستسقطون»!

نبض الضفة

خطابنا الثوري نحو فهم وصايا الشهداء

«لا تخافوا الموت بل خافوا أن تحيوا حياةً غير لائقة. من لا يعرف الحقيقة فهو ببساطة جاهل، ولكن من يعرفها ويدّعي أنها كذبة فهو مجرم»

[الشاعر الالماني بريتولت بريشت]

رياض ملحم

هناك فرقٌ جوهري بين قول الصدق وبين قول الحقيقة، فليس كلّ قول حقيقي قد يكون صادقاً، وبالعكس ليس كلّ قول صادق قد يكون حقيقيّاً. هذه من المسائل التي يطرحها المختصون بدراسة ما يُعرف بـ«الإبستمولوجيا» أو نظرية المعرفة. إلّا وصايا الشهداء، هي وحدها التي «تُبوصِلُ» لنا الطريقَ لمعرفة الحقيقة الصادقة. إنّ للفدائيين -وهم الواقفون على البرزخ بين الاستشهاد وبين الحياة- كشفاً يتجلّى لهم بوعيٍ حاد، لأنّ نظرهم يكون حديديّاً.

إنّ وصيّة الشهيد ليست رسالة وداع، ومَخطوطاً من يظنّ أنّ الفدائيّ الذي يكرّس حياته كلّها للحرية، قد ينهي حياته بكتابة رسالة وداع عاطفيّة لنتائر، لا، فالفدائي وهو يكتب وصيّته لا يتصرّف تصرّفاً مصدره اليأس والحزن على ماله، فهو لا يتحلّى بشجاعة المواجهة والموت فقط، بل بالقدرة كذلك على التحكّم بإرعاب العدوّ وخلخلة أمنه. وعلى هذا المستوى تكون وصيّة الشهيد مهمّة سياسيّة لا تقلّ أهمّيةً عن مهمّته العسكرية.

يدخل الفدائيُّ الميدان عن معرفةٍ مستقصيةٍ، وبخطّةٍ مدروسةٍ، وبدراسةٍ حادّة للوقائع، وبتحليل حالة العدوّ وقدراته، متجنّباً خوضَ المعركة استناداً إلى الحظّ والأماني، ملتصقاً بتحديده الصائب لتكتيكه واستراتيجيته، إذ ليس ثمّة ارتجال بطوليّ في المعركة إلّا وكان قائماً على التناسُق بين الخطّة والوقائع، المغامرة مطلوبة شرط أن تستند إلى أسسٍ واقعيّة. صحيح أنّ جميع قوانين قيادة الحرب تتطوّر وفق سير التاريخ ووفق الحرب نفسها، لأنّ لا شيء في العالم يبقى ثابتاً، إلّا أنّ ذلك يعني، وبالضرورة، أنّ كلّ خطوة في الميدان تتبعها مرونة في التكتيك تلائم المستجدّ في المعركة، في هذه الحالة يتعلّم الفدائيُّ الحرب من الحرب نفسها، كما يقول ماو تسي تونغ في كتابه «استراتيجية الحرب الثورية». ولذلك، لا يمكن بتاتاً اعتبار الفدائي مجرّد كائن متحمّس حمل البندقيّة ونزل ليردي أعداءه. بل لا يمكن فصله عن الحرب باعتبارها كلّاً يتآلف من أجزاء، لأنّ -والقول هنا لماو- الذين تمرّسوا بتجربة حالة جزئية بمعارك وعمليات تكتيكية، يستطيعون الفهم على صعيد أعلى إذا استعملوا ملكة التفكير لديهم. من هنا ارتأينا بداعي الوجوب أنّ نعتبر أنّ وصايا الشهداء يمكن أنْ تشكّل خطاباً ثوريّاً لا بدّ من فهمه وفهم أبعاده.

يقول جون ديوي إنّ الحقيقة هي الفكرة النافعة فقط، أي تلك التي تحلّ مشكلة الإنسان وتجيب عن تساؤلاته. ويقول عظيمُنا ياسل الأعرج في وصيّته بأنّه وجد أجوبته، لأنّه وجد في ثقافة الاشتباك، تلازماً لا بدّ منه بين النظرية والممارسة، وهذه جدليّة ماركسية بامتياز، وهنا ممارسة فلسفيّة عالية، تدمج بين الفلسفة الوجودية وبين الجدلية الماركسية التي لا تعوّل على النظرية من دون ممارسة. فالاشتباك هو قمّة الممارسة الفعلية والواقعية للنظرية. لا أحد يستطيع أنْ يحقّق ماهيّته إن لم ينخرط في الواقع. وكشعوب بلادها مستعمرة، لا تستطيع أنْ تحقّق ماهيتها بلا اشتباك، هذا ما يحاول قوله لنا ياسل الأعرج، أنْ ليس بمقدورك كفرد عربيّ أن تجد أجوبتك عبر الثقافة وحدها، هذا يبقى ترفاً فكرياً إن لم يرتقِ للممارسة. الممارسة الحرّة في واقع مستعمَر يعني حمل البندقيّة في وجه المستعمِر، وفي العمق لا يستطيع الفرد العربيّ أنْ يحقّق ماهيته الفردية ولا أنْ يجد أجوبته إلّا في حالة الدفاع عن الجماعة. هذا تطوّر فلسفيّ حاد ينبغي فهمه في وصيّة ياسل الأعرج. أتوقّع أنّ الشهيد ياسل سأل نفسه هذا السؤال: هل يستطيع الإنسان بحالته الفرديّة أن يحقّق ماهيّته الحرّة في واقع جماعيّ غير حرّ؟ واظبَ ظلّ جاهلاً بالجواب إلى أن اشتبك ووجد ما وجد من أجوبة. حقيقة خطاب ياسل أنّه أخضع سؤاله للتجربة، وأعطانا الخلاصة إذ لم يكن أبداً شعاراً أنْ يقول: «إذا لا تريد أن تكونَ مثقّفاً مشتبكاً، فلا منك ولا من ثقافتك» هذا خطابُنا السياسيّ المكثّف، القائم على الممارسة النظريّة وليس نظريّة الممارسة. لذلك إنّ الثقافة هي الفكرة النافعة التي تصبحُ حقيقةً حين تشتبك. من دون ذلك -وأنا أصدّق ياسل- لن تجدوا أجوبتكم.

لقد تحدّث فوكو عن الفروقات بين الخطاب الصريح والخطاب الإنجازي، معتبراً أنّ الخطاب الإنجازي يتبعه أثرٌ أو فعلٌ معروف سلفاً، ولصاحبه منزلةٌ معيّنة تمنحه سلطة فرض إنجاز الفعل من خلال القول، ولذلك هو خطاب لا ينطق بالحقّ وبالتالي لا يمكن أن يشكّل خطراً على صاحبه. مقارنة بالخطاب الصريح الذي لا يمكن إلّا أنْ ينطق بالحقّ لأنّ صاحبه بالضرورة ذاتٌ حرّةٌ تقول ما تؤمن به وقادرة على الدخول في متاهات الخطر التي ترى في الصراحة علاقة شجاعة تربط بين الناطق بالحقيقة وبين الحقيقة المنطوقة نفسها. ذلك أنّ «الصراحة هي أخلاق قول الحقّ في فعلها المخاطر والحرّ».

عند فوكو أربعة أشكال من الخطابات الصريحة، وهي: خطاب النبي، وخطاب الفيلسوف، وخطاب العرّاف، وخطاب العالِم. ولنا أنْ نضيف مطمئنّين خطاب الفدائي، أو ما يسمّى وصيّة الشهيد، لأنّ سمات الخطاب الصريح، كما جاء بها فوكو، ليس لها أنْ تتضح بصورةٍ أكثر جلاءً إلّا في وصيّة الشهداء. ففي اللحظة التي يكتب فيها الفدائيّ وصيّته، تتحوّل تلك الوصيّة إلى خطاب الشهيد، هذا الخطاب إذا ما تمّت قراءته بوعي وبانتباهٍ حادّ، تتجلّى به الصراحة كحقيقة بهيّة قائمة بذاتها، والناطق بها هو أشجع من يمكن أنْ يقولها لأنّه أكثر الناس حرّية وأشجعنا على المخاطرة الحقّة. المسألة هنا ليست أنّنا نفهم الفدائي بحساسية الشعراء، ولا نعامل واقعه بروموانطقية ومثالية ساذجة، إنّنا نحاول أنْ نقدّم لمحةً بسيطة لا تفيه حقّه ولا حقّ القضيّة، هذه اللمحة ينبغي أن تأخذ حقّها في الدرس والبحث. فالفدائي الشهيد إن لم يكن رسولاً أو عالماً أو فيلسوفاً -كلٌّ على حدة- إلّا أنّه هو كلّ هؤلاء الذين ذكروا فقط لأنّه فدائيٌ وشهيد. لذلك لا يكفي أن نفهم وصيّة الشهداء باعتبارها خطاباً عاطفياً، بل واجب علينا أن ندخل سياقها الزماني والمكاني وعلاقة المتلقّي بالمتلقّي (المجموعة الاجتماعية)، والمؤثرات الخارجية بكل مستوياتها، أي ينبغي أن نذهب أبعد من نص الوصيّة.

إذا كان فوكو قد ربط الخطاب بإنتاج السلطة، فإنّ وصيّة الفدائيّ هدفها إنتاج حالة ثوريّة واعية، انطلاقاً من قدرة التجربة على خلق التصورات، فالوصية باعتبارها خطاباً له متلقٍ، تستند إلى فعل واقعيّ حصل ويحصل في الميدان، فهي ليست ترفاً عاطفياً ولا ينبغي أن يتخطّى المحلّي ليصل للدولي يشير إلى منهج ماركس الشمولي في تحليله للظواهر، فأنت لا تستطيع أن تفهم جزئية واحدة بمعزل عن الجزئيات الأخرى، تصبح الشمولية بهذا المعنى الماركسي دعوة لتبيين العلاقات الضرورية بين الظواهر. فما يحصل مثلاً مع الفلاح الصيني مرتبط بالضرورة بما يحصل بالراسمالية على مستوى العالم، وعلى هذا المستوى نستطيع فهم السياق الذي من خلاله يوصينا الفدائيّ بألا نترك البندقية. لأنّ ما يحصل في فلسطين غير مرتبط حصراً بالصراع بين تنظيمات نضاليّة محلّية وبين العدو، بل هذا جزء من كلّ، فلا نستطيع أن نفهم مثلاً كيف تطوّرت قدرات غزة من أضعف حلقة في المحور إلى حالة قادرة على الصمود والتصدي وفرض الشروط إذا عزلناها عمّا يحصل على الساحة الدولية ككل. أمّا المنهج الماركسي الثاني المتّبع في فعل الفدائي الميداني ثمّ في وصيته بعد ارتقائه فهو ببساطة غاية التغيير، فخطاب الوصية ليس فالتغيير هنا هو منهج ماركسي وهو محرّك ماركس الأساسي في إنتاج فلسفته.

أمّا المستوى الثاني، فهو مرتبط بالمؤثرات الخارجية، فأن يحلّفنا الشهيد إبراهيم النابلسي باعراضنا فهو يدرك في هذه اللحظة سلّم القيم السائد في المجتمع العربي ودور العرض بالنسبة له، أظن أن هذا ليس شيئاً عَرَضياً، حتى لو بالغنا في تأويله. فتسليط الضوء على سلّم القيم الكامن في الوصية هو شيء ضروري في عملية تحليل نص الوصية كخطاب، وخلافاً لعلماء تحليل الخطاب الإنكلوساكسونيين والفرنكوفونيين، فإنّ نبذ الموضوعية في تحليل خطاب الوصية بالنسبة لي هو شيء أكثر من ضروري، ذلك لأنّه واجبنا كمتلقين أن نفهم الوصية باعتبارها دعوة حثيثة للنضال وليس باعتبارها مادة لتأويل ماذا يريد الفدائي.

> **أن يحلّفنا الشهيد إبراهيم النابلسي باعراضنا فهو يدرك في هذه اللحظة سلّم القيم السائد في المجتمع العربي ودور العرض بالنسبة له، أظن أن هذا ليس شيئاً عَرَضياً**

تصميم **محمد معلم**

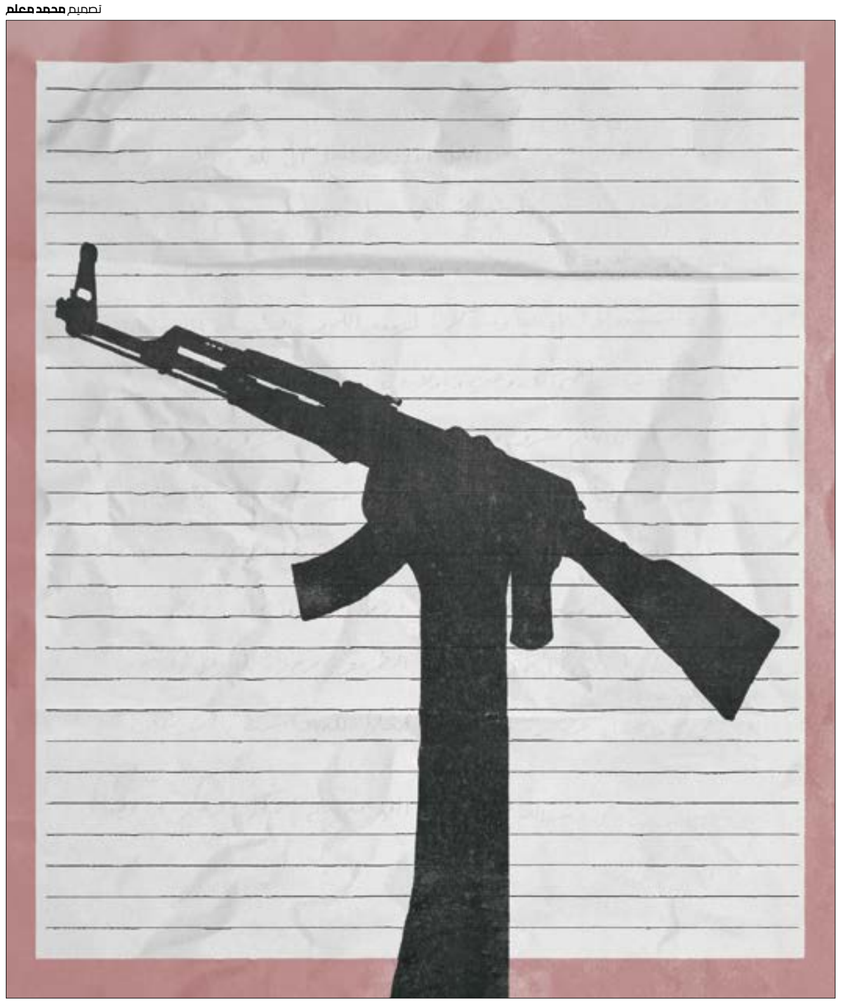

خاتمة

إن كان ينبغي التأويل فلا بدّ من أن ينحصر ضمن سؤال: لمن يتوجّه الفدائي في وصيته. هل للجيل القادم؟ هل لطبقة معيّنة؟ هل لمجموعة اجتماعية محددة؟ هل لأفراد بعينهم؟ إذا كانت الوصيّة تستند عادة على مستويين زمنيين، فإنّها وإن كانت تستهدف بالمقام الأوّل الجيل القادم، إلا أنّها غير محدّدة الوجهة بشكل صريح، فهي لا تأتي بوضوح «يا عمّال العالم اتحدوا»، حيث يبدو هنا توجّهها واضحاً وصريحاً، بل إنّ توجّه وصية الفدائي يتنوع بحسب أيديولوجيا صاحبها، حالته النفسية، موروثاته الثقافية، إلخ... ولكنّها حتماً موجّهة لحاملي البنادق الآن ولمن عقدوا النوايا لحملها مستقبلاً. مهما كان عمرهم، ووضعهم الاجتماعي، وأيديولوجيتهم. لذا، إذا أردنا أن نجيب عن سؤال لمن يتوجّه الفدائيّ في خطاب وصيّته فلا شكّ لكلّ من آمن أنّ الكفاح المسلّح هو الحلّ، هو الوسيلة الوحيدة التي تحرّر البلاد والعباد من قيد العبودية والاستعمار والاحتلال، هو اللغة الوحيدة التي ينبغي أن نخاطب العدوّ بها. ولذلك تنبع أهمية خطاب الوصية، وإن كان صاحبُها منظّماً تحت تنظيم ذي أيديولوجيا معينة، إلا أنّ أهمّيته تنبع من كونه يتوجه في الوقت نفسه:

1- للفدائيّ الجهادي بدافع ديني كأن يكون حملك للبندقية مرتبطاً بالمقدس. 2- وللفدائي الاستشهادي بدافع أيديولوجي كأن يكون حملك للبندقية مرتبطاً بمواجهة الإمبريالية العالمية. 3- وللفدائي الذي لا يعرف من الأمور سوى أنّ بلاده محتلّة وينبغي تحريرها.

هكذا أفهم الوصيّة كوحدة صفّ.

البلاد

تحت الاحتلال

«أبناء حسني الأشهب» يحرسون مدارس القدس

قبل أيام، انهمك ملثمون فلسطينيون في إلصاق منشورات تدعو للإضراب على بوابات المدارس الفلسطينية في القدس. ردّ الأخيرة جاء التزاماً كاملاً بشلّ العملية التعليمية. إما السبب فهو الاحتجاج على مخططات الاحتلال الرامية إلى فرض المناهج التعليمية الإسرائيلية، أو تحريف المنهاج الفلسطيني عبر اقتطاع واجتزاء الرواية التاريخية الفلسطينية وأحياناً محوها، وتطعيم النصوص بما يتساوق مع خط الأسرلة

بيروت حمود

خفتت أصوات الزوامير، فيما خلت الشوارع من السيارات، فالمدارس أغلقت بواباتها بعد ليلة أمضاها «مقاتلو المنهاج» من الملثمين في تعليق منشورات الإضراب رفضاً لمحاولات المنظومة الاحتلالية إلزام مدارس القدس بتبني منهاجها التعليمي، أو القبول بتحريف المنهاج الفلسطيني. إنه الإثنين المتصرّم، الذي لم يمضِ معهوداً في المدينة التي تستفيق على الصخب فيما عشرات الآلاف من التلامذة يشقون طرقهم إلى الصفوف والمعاهد.

> «الدولة عمّرت مدننا وقرانا العربية، وحسّنتها كثيراً... واستفاد الشيوخ والأطفال من التأمين الوطني... إذاً هيا ننشد نشيد الاستقلال (هتكفا الإسرائيلي)»!

القرار بالإضراب اتُّخذ هذه المرّة بإجماع من القوى والفعاليات الوطنية المقدسية كافة، والمؤسسات التربوية والتعليمية على مختلف تصنيفاتها وأنواعها، فضلاً عن اتحاد لجان أولياء الطلاب، واتحاد المعلمين، ووزارتي شؤون القدس، والتربية والتعليم الفلسطينيتين. فالحرب المعلنة من سلطات الاحتلال ضد الأجيال المقدسية «تستوجب وحدتنا»، و«لن نسمح بأن يؤكل الثور الأسود حتى لا يأتي يوم يؤكل فيه الثور الأبيض»، كما يؤكد الناطق باسم اتحاد المعلمين، أحمد الصفدي في اتصال مع «الأخبار».

(أ ف ب)

الحرب التي تشنّها منظومة الاحتلال المتكاملة على المنهاج التعليمي الفلسطيني في القدس غير جديدة. فبعد النكسة التي مُني بها العرب عام 1967، وسقوط أوّل عاصمة عربية كاملة بيد الكيان، شرعت سلطات الأخير في محاولات فرض مناهجها التعليمي على المدارس المقدسية التي كانت تدرّس المنهاج الأردني. غير أن تلك المحاولات الت إلى الفشل الذريع بسبب المقاومة الشرسة التي دافع بها التربويون والمعلمون والطلبة وأولياؤهم، عن المنهاج، تحت لواء حسني الأشهب ورفاقه.

لكنّ المحاولات الفاشلة لم تتوقف، فبعد توقيع اتفاق أوسلو باعوام تبنّت مدارس القدس المنهاج التعليمي الفلسطيني. وبالرغم من أن المادة 22 من البند الرابع من «اتفاق أوسلو 2»، عام 1995، ألزمت السلطة بسقف لا يمكن تخطيه عند وضع المناهج التعليمي؛ حيث نصت على أن «تضمن إسرائيل والمجلس بأن تساهم الأنظمة التعليمية الخاصة بهما في السلام بين إسرائيل والشعب الفلسطيني، والسلام في المنطقة عامة، وسوف يمتنعان عن التقدم بأية مواضيع يمكن أن تؤثر بشكل عكسي على مسيرة المصالحة»، ظلّت شهية الاحتلال مفتوحة حيال تشويه الهوية ومكوّناتها، وتجهيل الأجيال، من طريق حرمانها من الرواية والسردية الفلسطينيتين.

ولأجل تحقيق هدفها بتنشئة أجيال مقدسية كاملة منسلخة عن شعبها الفلسطيني وامتدادها العربي، ظلّت تبتدع منظومة الاحتلال أساليب عديدة، وتضع خططاً لإحقاق السيطرة على مدارس القدس، مستعينةً بوزاراتها المختلفة، ومعاهد بحوثها المختصة برصد «خروقات السلام» في المناهج، فضلاً عن ممارسة الابتزاز بالميزانيات، مستغلةً الظروف القاسية التي تعاني منها المدارس الفلسطينية، وخصوصاً على مستوى البنى التحتية. ومنذ عام 2013 إلى اليوم نجحت سلطات الاحتلال جزئياً بمخططها، حيث باتت 50% من مدارس المدينة تتبنى منهاجها.

وعلى هذه الخلفية، فإنه لم يكن بالأمر الجديد أن تهدد سلطات الاحتلال، مطلع العام الدراسي الحالي، مدرستي الإيمان والإبراهيمية الفلسطينيتين بسحب تراخيصهما إذا ما لم تتبنا منهاجها، أو تدريس المنهاج الفلسطيني المحرّف، فضلاً عن تهديدها لتسع مدارس خاصة أخرى بهدم بعض مرافقها بحجة «البناء من دون ترخيص». غير أن تلامذة حسني الأشهب «مريديه» قرروا الوقوف وقفة «رجل واحد»، معلنين الإضراب العام رفضاً لفرض الرواية الاحتلالية على الطلبة. وقبل ذلك، كان أولياء الأمور قد وزّعوا المنهاج الفلسطيني الأصلي على الطلبة تحديداً في المدرسة الإبراهيمية، وبعد التهديد، تخوّف الطلبة من إحضار الكتب الأصلية تحسباً من كَيسة» مفاجأة من سلطات الاحتلال قد تصادر خلالها الكتب، وتنفذ تهديدها بسحب الترخيص.

الأسرلة لن تمر

«شلومو ليس جارنا الذي نزوره. نحن لسنا ضد اليهود، ولكننا ضد الصهيونية». هذا ما قاله المتحدث باسم «اتحاد المعلمين»، المهندس، والمُدرّس السابق، أحمد الصفدي. لكنّ المنهاج الإسرائيلي يريد من الطلبة غير ذلك، ففي أحد النصوص الواردة ضمن أحد كتب المنهاج الإسرائيلي يُروّج تسامحاً مع «شلومو جارنا الجديد»، «جارنا» ذاته الذي يقتل الفلسطينيين في الشوارع، ويقصف بطائراته أجساد أطفال غزة، وهو ذاته الذي يسرح ويمرح في مدن وقرى هجّرت دولته أهلها قبل 74 عاماً لتسكنه وأقرانه فيها. وهو نفسه الذي يشن اليوم حرباً على المنهاج.

لا يتوقف الأمر عند ارتجاء السلام «الساذج» وترسيخه، فلم تعد فلسطين بكل رموزها في المنهاج، بدءاً من العَلَم، وصولاً إلى الجندي، وليس نهاية عند اسمها بالتحديد الذي استُبدل بـ«إسرائيل» وحولها أعلام دول الطوق. المنهاج ينكر أيضاً وجود فلسطين إطلاقاً فـ«الدولة عمّرت مدننا وقرانا العربية، وحسّنتها كثيراً... واستفاد الشيوخ والأطفال من التأمين الوطني... إذاً هيا ننشد نشيد الاستقلال (هتكفا الإسرائيلي)»! وكأن هذا الاحتلال هو منّة، على الفلسطينيين أن يحمدوا ربهم لوجوده، فضلاً عن كونه يجبر الفلسطينيين على دراسة إنتاج أدبائه وشعرائه، وكأنّ هؤلاء «مقطوعون من شجرة»، وليس لهم أدباء وشعراء وعلماء على امتداد التاريخ.

وفي الإطار، يُشير الصفدي إلى أنه «بخلاف المنهاج الفلسطيني الذي أصلاً هو دون المستوى المطلوب لناحية المضامين الهوياتية، فإن المنهاج الإسرائيلي العبري هو الذي يحرّض على الكراهية والعنف والتمييز ضد الفلسطينيين».

هذه العملية التضليلية التي تمارسها سلطات الاحتلال «لن تمر مرور الكرام»، صحيح أنه «نريد لطلابنا أن يتعلموا والإضراب هو إحدى الوسائل والأدوات للاحتجاج، ولعله لا يكون أفضلها». لكن «نحن عازمون على المضي في الدفاع عن منهاجنا الذي يرسّخ هويتنا الفلسطينية ومكوّناتها. فهذا حق لنا ولن يمنّ أحد علينا به»، كما يؤكد الصفدي، مشيراً إلى أن العام الحالي عنوانه «التحدي التعليمي في القدس»، وسيتحقق ذلك بفضل «منظومة دفاعية متكاملة عن المنهاج». وانطلاقاً من ذلك، فإن «لجنة الطوارئ» التي تضم ممثلي الأجسام كافة التي تُعنى بالتعليم، وتنعقد أسبوعياً «ستتخذ خطوات تصعيدية، قد تتضمن تعليقاً جزئياً للدوام الدراسي»، فضلاً عن «توزيع نشرات توعوية، وتكثيف الحملات الإعلامية والتثقيفية للطلاب». إضافة إلى ذلك، تعتزم اللجنة، «عرض القضية أمام القنصليات الأجنبية في المدينة، وتجنيد الدعم المالي للمؤسسات التربوية المقدسية، علاوة على تقوية اتحاد المعلمين ولجان أولياء أمور الطلاب».

في المحصّلة، فإن القدس التي أثبت أهلها أنهم عصيّون على الخضوع، يجد أبناؤها اليوم أنفسهم في خضمّ معركة للدفاع عن هويتهم وحقهم في تعلّم المضامين التي تتساوق مع الرواية والتاريخ والسردية الفلسطينية، وليس الرواية الاحتلالية التي تتنكر لذلك. من الصحيح أن الحرب «طاحنة»، ولكنّ المحاربين هذه المرّة قالوها: «فليشهد التاريخ أن مؤامرة أسرلة التعليم في القدس لن تمر».

شتات

قصّتنا مع «الأونروا»

سعيد الكرملي

تفتحت عيون أطفال اللاجئين الفلسطينيين على الطابور الصباحي في باحات مدارس الوكالة، وعلى كوب الحليب وملعقة «زيت السمك»، قبل توجههم إلى مقعد الدراسة. وكان الأطفال في الوقت نفسه «جيش سخرة» احتياطياً، يساعدون أهاليهم في تسلّم المعونة الغذائية الشهرية، ليعودوا بعدها على ظهر شاحنات صغيرة «معفرين» بالطحين، وقد دسّ كل منهم في فمه قبضة من «النعُّومة»*، مكافأة مستحقة على مجهودهم، وكلما علا صخبهم وصدحت ضحكاتهم، انطلقت من أفواههم سحابات سفراء صغيرة تفضح سرقاتهم البريئة.

هذه بعض من معالم الطفولة في حياة صغار اللاجئين الفلسطينيين، وقد توزعت ما بين مشاركة الكبار هموم النكبة وتداعياتها، وما بين البحث عن أمل في مستقبل لا يعرفون من معالمه سوى أن عليهم، ليكون أفضل، متابعة الدرس والاجتهاد في التحصيل العلمي، فيما جهد الكبار في فتح ثغرة في جدار اليأس الذي نصبه تخاذل أصحاب هتافات نجدتهم، ومؤامرات «الكبار» الذين مكّنوا عدوهم من سرقة بلادهم.

لاحقاً، تقاعست «جيش السخرة»، وكفّ الكبار عن التوجه إلى مراكز «الإعاشة»، بعدما قلصت الوكالة معوناتها الإغاثية إلى أن أوقفتها تماماً، باستثناء شريحة من اللاجئين صُنفت في خانة «المعوزين»، وجاء إيقاف المعونات بدعوى «تحسن أوضاع اللاجئين المعيشية عبر استيعابهم في سوق العمل المحلية»، وطبعاً، هذا لا ينطبق على الكثير من اللاجئين، وفي المقدمة، اللاجئون الفلسطينيون في لبنان، الذين يحرمهم القانون اللبناني من حق العمل وحقوق إنسانية واجتماعية كثيرة.

اللافت أن ردّات فعل اللاجئين على هذه التقليصات كانت أقل من مستوى تأثيرها السلبي على حياتهم، وربما يعود السبب إلى انشداد الحالة الفلسطينية بمجملها نحو الإنجازات التي جاءها نهوض المشروع الوطني، وخاصة في عقد السبعينيات، لناحية تعاظم دور منظمة التحرير السياسي والاجتماعي ومؤسساتها، ونموّ تأثيرها الإيجابي في حياة الفلسطينيين. في الوقت الذي حافظت فيه الأونروا على قوة تأثيرها بين اللاجئين في قطاعي التعليم والصحة، مقابل أضمحلال هذا التأثير في الجانبين الاجتماعي والإغاثي في تلك الفترة.

تحدث الباحثون بإسهاب عن قصدية الدول الغربية في تسييس تمويل الأونروا، بدءاً من وضع موازنتها تحت رحمة تبرعات غير ملزمة تقدّمها دول مانحة تقف على رأسها الولايات المتحدة. والكل يعرف طبيعة الضغوط التي مارستها ولا تزال واشنطن لتغيير وظيفة الوكالة وتحويلها إلى مؤسسة تنموية تنخرط في مشاريع تشطب حق العودة وتوطين اللاجئين بعد تغيير تعريف اللاجئ الفلسطيني ونزع مكانته القانونية وفقاً لما جاء في قرار تأسيسها واستناداً إلى القرار الأممي 194. وهذا ما يفسر قرار أميركا وقف مساهمتها في موازنة الوكالة، بالتنسيق مع حكومة الاحتلال الإسرائيلي.

التأثير السلبي لهذه السياسة كان مضاعفاً بسبب ضخامة المساهمة الأميركية قياساً بالدول المانحة الأخرى، وفي ظل تعاظم احتياجات اللاجئين الفلسطينيين تحت وقع العدوان والحصار على قطاع غزة، وما شهدته سوريا من أحداث دامية دمرت عدداً من مخيمات وتجمعات اللاجئين الفلسطينيين وخاصة مخيم اليرموك، ما أدى إلى تشريد أهلها، إضافة إلى تفاقم الأزمة الاقتصادية في لبنان، وقد أضافت أعباءً وأزمات جديدة على عاتق اللاجئين الفلسطينيين فوق ما يعانون أساساً جراء حرمانهم من الحقوق الإنسانية والاجتماعية. وزاد من تأثير تقليصات خدمات الأونروا تغييب دور منظمة التحرير ومؤسساتها المعنية باللاجئين، يضاف إلى ذلك، تردي الأوضاع الداخلية الفلسطينية في ظل صراع سلطتين تتنازعان الوهم حول صلاحيات، تقبض عليها بالأساس سلطات الاحتلال.

> يصف البعض الأونروا بـ «حكومة اللاجئين الفلسطينيين»، مستشهداً بما بات لديها من «وزارات ومؤسسات ودوائر»

بالنتيجة، وعلى الرغم من ضعف تمويل الأونروا، تتجه بوصلة اللاجئين نحوها، لما تمثله من مصالح حيوية لمستقبل مئات آلاف التلاميذ والطلبة وعشرات الآف المعلمين في مدارسها، والآف الموظفين والمستخدمين في مجالات عملها الأخرى، وبما تقدمه من مساعدات نقدية وغذائية وعينية طارئة في عدد من مواقع عملها، وإن كانت معاناة اللاجئين واحتياجاتهم تتطلب تقديمات أوسع.

فمنذ سنوات، يصف البعض الأونروا بـ«حكومة اللاجئين الفلسطينيين»، مستشهداً بما بات لديها من «وزارات ومؤسسات ودوائر»، على حد تعبيره. متخصصة بشؤون التعليم والصحة والرعاية الاجتماعية، وتقدم خدماتها لـ 6,3 ملايين لاجئ، بحسب «دائرة نفوس» الوكالة أخيراً. وإذا صح هذا الوصف، فهي أقدم «حكومة مؤقتة» على الإطلاق. فهي وإن أنشئت في عام 1949 كوكالة مؤقتة، إلا أن تجديد تفويضها الدوري كل 3 سنوات، على يد غالبية أعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة، منحها الديمومة حتى يومنا هذا.

اللاجئون وأعداء قضيتهم «متفقون» على أن الأونروا «شاهد على النكبة الفلسطينية»، وعلى أنها تعبير قانوني وسياسي عن التزام المجتمع الدولي تجاه تداعيات قضية اللاجئين واستحقاقاتها، وفي المقدمة تنفيذ القرار الدولي 194 الذي ينص على وجوب السماح بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم وممتلكاتهم التي طردوا منها منذ عام 1948. وعلى قاعدة هذا الاتفاق، تدور بين الطرفين وحلفائهما معركة حامية الوطيس؛ ما بين تمسك اللاجئين بها وتحسين تقديماتها واستمرارها طالما هم لاجئون، وما بين مشروع أعدائهم بإنهائها عبر تجفيف مصادر تمويلها، وصولاً إلى تصفية قضية اللاجئين الفلسطينيين وإسدال الستار نهائياً على حق عودتهم إلى ديارهم وممتلكاتهم.

* «النعُّومة» «قضامة» صفراء مطحونة.

(أ ف ب)

ذاكرة

29 عاماً على المتاهة
وقائع من «أوسلو»

وقّعت منظمة التحرير الفلسطينية أوسلو في 13 أيلول/ سبتمبر 1993 في واشنطن، بحفل للاحتفاء بـ"السلام" بين العدوّين اللدودين. وكان أوسلو 1، ولحقه أوسلو 2، وباقي الملحقات، ولم يلحقهم إلا الخراب.

وفي تذكّر الذكرى، لا تبدو الكتابة عنها سوى إنشاء جديد في انتقادها. لذلك، فضلنا إعادة نشر بعض ما جاء في الرسائل المتبادلة بين منظمة التحرير الفلسطينية وحكومة الاحتلال، وتعليقات بعض السياسيين الفلسطينيين والإسرائيليين، وذلك استناداً إلى ملف نشرته «مجلة الدراسات الفلسطينية» في عددها الرقم 16/ خريف 1993:

في رسالته الموجهة إلى إسحاق رابين، والمؤرخة بـ 9 أيلول/ سبتمبر 1993 قال الرئيس الراحل ياسر عرفات «بالنظر إلى الوعد بعصر جديد وإلى توقيع "إعلان المبادئ"، واستناداً إلى القبول الفلسطيني لقراري مجلس الأمن 242 و338، فإنّ م.ت.ف. تؤكد أن بنود الميثاق [الوطني] الفلسطيني التي تنكر على إسرائيل حق الوجود، وقُراته التي لا تتلاءم مع الالتزامات الواردة في هذه الرسالة، ستصبح ملغاة وغير سارية المفعول بعد الآن. وبالتالي، فإن م.ت.ف. تتعهد بعرض التعديلات الضرورية المتعلقة بالميثاق الفلسطيني على المجلس الوطني الفلسطيني للحصول على موافقته الرسمية عليها.» **(الرسائل المتبادلة بين رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ورئيس الحكومة الإسرائيلية ووزير الخارجية النرويجية، 9 أيلول/ سبتمبر 19، ص183).**

في المقابل أرسل رئيس الحكومة الإسرائيلية إسحاق رابين إلى عرفات، الرسالة الآتية: «السيد الرئيس، ردّاً على رسالتكم المؤرخة في 9 أيلول/ سبتمبر 1993، أود أن أؤكد لكم أنه في ضوء التزامات م.ت.ف. الواردة في رسالتكم، قررت حكومة إسرائيل الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً للشعب الفلسطيني، وبدء المفاوضات مع م.ت.ف. ضمن إطار عملية السلام في الشرق الأوسط» **(الرسائل المتبادلة بين رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ورئيس الحكومة الإسرائيلية ووزير الخارجية النرويجية، 9 أيلول/ سبتمبر 19، ص 183).**

يذكر أحد المشاركين في مفاوضات أوسلو السرية جابر عصفور أن الاتفاق تضمن «ترابطاً زمنياً وعضوياً بين المرحلتين: الانتقالية والنهائية، بحيث تقود الأولى إلى الوصول إلى تسوية دائمة بعد انتهاء المفاوضات النهائية، وهذا يبدد مخاوف البعض الذي يعتقد بأن الحل الموقت حل دائم» **(رؤية لاتفاق إعلان المبادئ، ص19).**

وقد حوّل اتفاق أوسلو القضية الفلسطينية حسب رأي عزمي بشارة (أستاذ الفلسفة في جامعة بيرزيت في حينها) من «قضية الصراع العربي - الإسرائيلي إلى قضية الاتفاق الإسرائيلي - الفلسطيني. ومع انتقال القيادة الفلسطينية إلى غزة أو أريحا أو إلى كليهما معاً أو إلى جزء منهما، تتحول القضية إلى قضية إدارية، ولن تخرج من دائرة الإدارة إلا إذا خرجت جماهير الشعب الفلسطيني إلى الشارع، على الرغم من الاتفاق، لتفرض على الطرفين أموراً لم يحسب الاتفاق لها حساباً» **(من أجل تجنيب نهاية ساخرة لإحدى مآسي القرن، ص37).**

> إسرائيل أوضحت مراراً وتكراراً أنه لا نية لديها للانسحاب إلى خارج الأراضي المحتلة

ويرى المستشار المقرب من عرفات، ورئيس اللجنة التنسيقية للوفد الفلسطيني في محادثات السلام في واشنطن نبيل شعث، سبب تأجيل ما اصطلح على تسميتها بقضايا الحل النهائي أنه «مقتضيات مؤقتة تقضي بالفصل بين المرحلتين الانتقالية والنهائية، وليس بسبب استثناءات جغرافية» ويضيف « في الواقع، هذا ما جعل التقدم المفاجئ في أوسلو ممكناً، الا وهو حقيقة أنه جرى فرز القضايا في سلّتين، واحدة لمعالجتها في الحال، والثانية الوضع الدائم» **(اتفاقية أوسلو، مقابلة مع نبيل شعث، ص 74).**

ويذكر رئيس الفريق الفلسطيني المفاوض رسمياً في محادثات السلام في الجولات العشر الأولى بعد مؤتمر مدريد حيدر عبد الشافي في معرض نقده لاتفاق أوسلو، أن الانسحاب الكامل من الأراضي تعدّد الاتفاقية القضايا المؤجلة، مثل القدس، والمستوطنات والحدود، إلخ، فإنه لا يوجد ذكر لأي انسحاب يتعدى الانسحاب المذكور في المرحلة المؤقتة. فالانسحاب الكامل، لا من مراكز تجمع السكان فقط، بل إلى خارج حدود الأراضي المحتلة، لم يرد ذكره في ما يتعلق بمفاوضات المرحلة النهائية» ويضيف، وهو الخبير والعارف والمجرب في مسألة المحادثات أنه «يقال إن هذا متضمن في إشارة الاتفاقية إلى قرار مجلس الأمن الرقم 242، الذي يشتمل على الانسحاب، لكن لا يمكن الاعتماد على أشياء متضمنة عند التعامل مع مصالح الدولة، وخصوصاً أن إسرائيل أوضحت مراراً وتكراراً أنه لا نية لديها للانسحاب إلى خارج الأراضي المحتلة، ولا تظهر هذه الاتفاقية، بأي شكل من الأشكال أن هناك استعداداً لذلك، حتى في المرحلة الثانية» **(اتفاقية أوسلو مقابلة مع حيدر عبد الشافي، ص84).**

في حوار معه، يقول سفير إسرائيل في واشنطن (فترة توقيع الاتفاق) ورئيس الطاقم الإسرائيلي في المفاوضات مع سوريا إيتمار رابينوفيتش حول احتمالية قيام دولة فلسطينية إثر توقيع الاتفاق «المفاوضات يجب أن تنتهي إلى اتفاق، ولا يستطيع أحد ليّ ذراعنا وإرغامنا على توقيع اتفاق لا نريده. ونظراً إلى أننا لا نريد قيام دولة فلسطينية، ففي إمكاننا منع ذلك. وخلافاً لادعاءات موجهي الانتقادات، فالاتفاق ليس وصفة لإقامة دولة فلسطينية، بل إنه ينشئ إطاراً لمؤسسة تنافس ذي طابع سياسي ويدور ضمن الأطر التي حددناها: انتخابات، ومجلس [منتخب]، ومفاوضات وتوزيع صلاحيات.» **(نحن ننتقل من صراع عنيف إلى تنافس سياسي على أرض إسرائيل» [مقتطفات] مقابلة مع البروفسور إيتمار رابينوفيتش، ص 108).**

(الأخبار)

(أ ف ب)

الأخبار
al-akhbar
السبت 24 أيلول 2022 العدد 4735

صورة وخبر

ينضمّ «محترف أناشار بصبوص» إلى سلسلة المحترفات الموجودة في بلدة راشانا شمال لبنان، ويندمج هذا الفضاء الفني الجديد المعاصر بهندسته ومحتوياته مع طبيعة البلدة التي حوّلها الإخوة بصبوص صرحاً ثقافياً ومتحفاً في الهواء الطلق لأعمالهم. ارتأى الفنان البالغ 53 عاماً إيجاد مساحة جديدة تحتضن أعماله المعاصرة، ويكرّم من خلالها إرث والديه الراحلين النحات الرائد ميشال بصبوص والشاعرة والكاتبة تريز عواد. في حديث لوكالة «فرانس برس»، يقول: «وجدت أن ثمة حاجة إلى إقامة هذا المحترف وخصوصاً أن والدي وشقيقيه تركوا عدداً كبيراً من المنحوتات، وأردت أن تكون لي مساحتي الخاصة التي تشبهني». تزيّن منحوتات أناشار المعدنية الطريق المؤدية إلى المحترف، وكأنها تؤدي دور المرشد إلى عالمه. ويطل المحترف بشكله المستطيل ولون اسمنته الخام على البحر، فيما ويمتد على مساحة 1400 متر مربع، معتمداً على الإضاءة الطبيعية في كل صالاته. يضم هذا الفضاء أكثر من 50 عملاً أنجزها الفنان ما بين عامَيْ 2017 و2022، مصنوعة من الفولاذ المقاوم للصدأ والغرانيت والألمنيوم والستانليس والصخور البركانية والباطون الخام وسواها. ويوضح بصبوص أنّه شاء أن يكون «محترف أناشار بصبوص» مكاناً «غير مغلق»، واصفاً إيّاه بأنّه «صالة عرض» لأعماله، من دون أن يستبعد تحوّله إلى متحف لاحقاً. وعن أسلوبه الخاص في النحت، يشرح: «في بدايتي كنت أنحت الحجر وكان عملي يشبه عمل عائلتي، ولكن رويداً رويداً (...) وجدت طريقاً يشبهني أكثر وقريباً من البناء الهندسي يقوم على التكرار وتراكم الأشكال (...) أنا بنّاء أكثر من كوني نحاتاً». (جوزيف عيد ــ أف ب)

المفكرة

جليلة بضيافة زاهي

■ تحلّ الفنانة المغربية جليلة تلمسي (الصورة)، اليوم السبت ضيفة على برنامج «بيت القصيد» الذي يقدمه الشاعر والإعلامي اللبناني زاهي وهبي على قناة «الميادين»، لتتحدث عن آخر أعمالها المسرحية والسينمائية والتلفزيونية، وعن نيلها شهادة الماجستير عن أطروحة حملت عنوان «التربية الجمالية وتدبير مهن الفن والثقافة»، وتحضيرها لنيل شهادة الدكتوراه بأطروحة بعنوان «المسرحة في السينما، الأفلمة في التلفزيون». يركّز الحوار على أهمية التربية الجمالية في عصر تطغى عليه الهموم المادية والفنون الاستهلاكية، وما الذي تضيفه الكتابة إليها كممثلة انطلاقاً من مشاركتها في تأليف العديد من النصوص المسرحية والتلفزيونية، وآخرها مسرحية «بضاض» بالاشتراك مع عبدالله العبداوي وإخراج أمين ناسور، والتي تعالج فيها تيمة الحب وتحولاته مع الزمن، وأثر العادات والتقاليد عليه، والتمييز بين الجنسين. يتناول الحوار كذلك عودة تلمسي إلى الخشبة بعد توقفها بسبب جائحة كورونا، وأدوارها التلفزيونية الجديدة، وتقديمها أعمالاً منوّعة كوميدية وتراجيدية، ومشاركتها في أعمال تسلّط الضوء على قضايا المرأة، والجوائز التي نالتها. كما تعرّج المقابلة على المشهد الإبداعي

الراهن في المغرب، فيما تتخلّلها شهادة من المخرج المغربي محمد الحرّ.

«بيت القصيد»: اليوم السبت ـ الساعة التاسعة مساءً على «الميادين»

دوم بيدرو الثاني في ديار العرب

■ عام 1871 توفّيَت في فيينا ابنة إمبراطور البرازيل بيدرو الثاني، فشكّلت له الحادثة فرصةً للسفر بعيداً عن الإمبراطورية والتخفّف من قيود البروتوكول، معتمداً اسم بيدرو القنطرة (تيمّناً بقدّيس من منطقة Alcántara/ القنطرة في إسبانيا). جال في أوروبا كسائح عادي وتعددت أسفاره حول العالم، من أميركا إلى كندا وصولاً، شرقاً، إلى لبنان وسوريا وفلسطين وتركيا ومصر. فُتِن الإمبراطور بتاريخ المنطقة وطبيعتها وثقافتها فحفظها بمذكراتها وتناولها في رسائله ورسم بنفسه المناظر الطبيعية والآثار التي زارها. هذه الجولة وتأثيرها على علاقة البرازيل بلبنان والمنطقة تاريخياً، تشكّل موضوع المعرض الخاص الذي افتتحته «دار النمر للفن والثقافة» (كليمنصو) أخيراً تحت عنوان «القنطرة ـ رحلات دوم بيدرو الثاني إلى العالم العربي»، بالتعاون مع السفارة البرازيلية في لبنان، قبل أن تعقد يوم الخميس المقبل مؤتمراً يناقش موضوع

«دوم بيدرو الثاني والهجرة اللبنانية إلى البرازيل وأميركا اللاتينية»، بمشاركة السفير البرازيلي هيرمانو تيليس ريبيرو، المخرجة اللبنانية ـ البرازيلية كارمن لبكي، الباحث والقيّم على المعرض روبرتو خطلب، الأستاذة المساعدة والباحثة في «معهد العلوم الاجتماعية» في «الجامعة اللبنانية» سوزان منعم والأستاذ في «الجامعة اللبنانية» و«جامعة ليون» و«جامعة القديس يوسف» و«الجامعة الأميركية في بيروت» بطرس لبكي. واليوم السبت، تنظّم «دار النمر» جولة إرشادية، باللغة البرتغالية، مع روبرتو خطلب لاستكشاف المعرض.

جولة في معرض «القنطرة ـ رحلات دوم بيدرو الثاني إلى العالم العربي»: اليوم السبت ـ الساعة الحادية عشرة صباحاً/ مؤتمر «دوم بيدرو الثاني والهجرة اللبنانية إلى البرازيل وأميركا اللاتينية»: الخميس 29 أيلول (سبتمبر) الحالي ـ الساعة السادسة مساءً ـ «دار النمر للفن والثقافة» (شارع أميركا ـ كليمنصو/ بيروت). للاستعلام: 01/367013 أو info@darelnimer.org

سينما مصرية على النت

■ في إطار برنامج «عن التضامن» الذي يقيمه مهرجان «ريف ـ أيام بيئية وسينمائية»، تتيح منصة «أفلامنا» الإلكترونية فيلمَيْ «الجمعية» (80 د ـ إخراج ريم صالح ـ غير متاح في العالم العربي/ الصورة) و«يوم الدين» (97 د ـ إخراج أبو بكر شوقي ـ متاح حصراً في العالم العربي) لغاية 28 أيلول (سبتمبر) الحالي. تجري أحداث الشريط الأوّل في روض الفرج، أحد أفقر الأحياء السكنية في القاهرة، الذي يُمثّل الحصول على مستلزمات الحياة اليومية فيه صراعاً مُستمراً لسكانه، لكن الإحساس بالانتماء إلى المجموعة ومشاركة سكان الحي مشكلاتهم مع بعضهم البعض يساعدهم في التغلّب على مصاعبهم. و«الجمعية»، من بين تلك الوسائل المساعدة، تعمل كنظام تعاوني بديل، وقد أصبحت جزءاً لا يتجزّأ من حياتهم اليومية. صورة نادرة وحميمة وحقيقية لحياة نراها من خلال عيون وأصوات شخصيات تعيش في مكان لا يعرف الراحة.

أما «يوم الدين»، فيغوص في الروح المصرية عبر قصّة صداقة مؤثّرة تجمع بين الكهل القبطي «بيشاي» الذي ترعرع داخل مُنشأة خاصة بالمصابين بالجُذام، ومحمد أوباما، الطفل النوبي الذي تربّى في ملجأ أيتام مجاور. يجمع هذا المشوار الثنائي في مختلف أنحاء مصر، ويحاول من خلاله «بيشاي» معاودة الاتصال بعائلته التي تخلّت عنه بهدف الوصول إلى قريته في محافظة قنا.

فيلما «الجمعيّة» و«يوم الدين»: لغاية الأربعاء 28 أيلول على www.aflamuna.online

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 24 أيلول
العدد 4735 السنة السابعة عشرة
Samedi 24 Septembre 2022 nº 4735 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

ليست تراباً
ولا دائرية:
الأرضُ
في دفتر رسم الفتاة الصغيرة
رأسٌ مفصولٌ عن الجسد
يدور في الفضاء.
إننا ننهمرُ مثل أفكارٍ مقلوبةٍ رأساً على عقب،
مثل سطورٍ غامضةٍ
على يد شاعر،
وصمتٍ طويلٍ
في حلق المقبرة الحجريّ.
ننهمرُ
بلونٍ أصفر على الخريف

(من قصيدة كروس عبد الملكيان ـ ص 4 ـ 5)

«الشجرة» للمصوّر الايراني علي شكري

ملف

رحيل الروائي والمترجم الإسباني

خابيير مارياس... كاتب الذاكرة والماضي الثقيل

بجمل طويلة، متشعبة، يكتب مارياس رواياته بأسلوب متأثر بخوان بينيت، وتوماس براون وبروست

تغريد عبد العال

«الشقة التي أمضيت فيها طفولتي، كانت مليئة بالكتب». هكذا يقول الكاتب والروائي والمترجم الإسباني خابيير مارياس (1951 ـ 2022) عن طفولته في أحد نصوصه. هو الذي ولد في مدريد، لأب وأم كاتبين ومحبين للفن والكتب. والده هو خوليان مارياس، فيلسوف وكاتب معروف، مُنع من ممارسة التعليم في إسبانيا، بسبب معارضته لنظام فرانكو الديكتاتوري. هكذا، أمضى خابيير فترات من حياته في أميركا حيث مارس والده التعليم في جامعتي «ويسلي» و«ييل».

قبل بلوغه سن الـ 21، كان قد أنهى كتابة روايتين. ظهرت الأولى «الملاك من الذئب» عندما كان في التاسعة عشرة. علّق مارياس على تلك الفترة قائلاً: «كانت الكتابة حينها نوعاً من المحاكاة للأقلام الأميركية خلال الأربعينيات والخمسينيات، وهي كتابات شبابية لا تنتمي للسيرة الذاتية». منذ تخرجه، لم يكتب أي رواية على مدى ستّ سنوات، ليعمل على ترجمة الكتاب الإنكليز والأميركيين كوليم فوكنر، ووولاس ستيفنز، وجون أشبيري. ومن هنا تأثر بفوكنر وكونراد وشكسبير. عاد بعدها إلى إسبانيا، ليتخرج بدرجة في الفلسفة عام 1973 من جامعة مدريد.

في عام 1986 ظهرت روايته «الرجل العاطفي» التي تتحدث عن مغني أوبرا يقع في حب امرأة رجل آخر، فتأتي روايته هذه كمديح للحب والوحدة. ظهرت لاحقاً رواياته الأخرى، «ظهر الزمن»، و«عندما رأيت ميتاً» و«رغبات ماضية» وترجمت إلى أكثر من أربعين لغة، وبهذا أصبح مرشح إسبانيا لنيل «جائزة نوبل» منذ عام 1989.

درّس مارياس الترجمة في «جامعة أكسفورد» وهناك ظهرت روايته «كل النفوس» التي تتحدث عن تجربته كأستاذ جامعي وعلاقته بطالب في الجامعة، وكانت الرواية الأولى التي ترجمت إلى الإنكليزية، كما درّس أيضاً الأدب الإسباني في جامعتي «أكسفورد» و«ماسوتشتس».

لم يمارس مارياس عمل الترجمة فحسب، بل جعل من شخصية المترجم وفكرة الترجمة بكل معانيها ثيمة رئيسية في رواياته، فرأينا كيف ظهرت لدى شخصياته تلك الرغبة الخفية للمعرفة

> «فكر فيّ غداً أثناء المعركة» تتجول بين مواضيع كثيرة منها الموت والعزلة والهوية في إطار تاملي ساخر

وصعوبة الفهم، من مغني الأوبرا، إلى المخرجين، والجواسيس... كلهم كانوا يحاولون التواصل مع عالم صعب. يعتقد مارياس أن الترجمة هي الأهم بالنسبة إليه ككاتب، فقد ترجم أيضاً توماس هاردي، واسحق دينسن، وكان عاشقاً كبيراً لشكسبير، ومعظم عناوين رواياته مقتبسة عن مسرحيات شكسبير. يقول مارياس عن الترجمة: «إذا كانت لدي مدرسة في الكتابة الإبداعية كنت سمحت فقط بدخولها للطلبة القادرين على الترجمة».

ومع أن رواياته لم تكن سياسية، لكنها ناقشت القضايا التي تشغل المجتمع الإسباني منذ سقوط النظام الفاشي عام 1970 وهي الخيانة، والذاكرة، وعبء الماضي. يقول صديقه الكاتب إدواردو مندوزا إنّ كتابة مارياس لا تشبه كتابة أحد. من السهل التأثر بها، لكن من الصعب أن تقلّد. في رواية «قلب ناصع البياض» (1992 . ترجمها طلعت شاهين إلى العربية) يبحث خوان وزوجته لويزا عن ماضي أبيه المخفي وزيجاته الفاشلة، ويكشف مارياس قدرته على وصف التفاصيل والأحاسيس الغامضة وعلى الدمج بين التراجيديا والكوميديا. هنا أيضاً نكتشف تلك المعاني الخفية في حياة الشخصيات كأنها ترجمة من نوع آخر. استلهم الكاتب عنوانها من عبارة لشكسبير: «بداي من لونك، لكن يخجلني أن أحمل قلباً أبيض جداً». نالت هذه الرواية جائزة دبلن عام 1997 وهذا ما مكّنه من تكريس وقته للكتابة وصاحب كاتب عمود في صحف إسبانية مهمة.

بجمل طويلة، متشعبة، وقد تمتد إلى صفحات، يكتب مارياس رواياته بأسلوب متأثر بخوان بينيت، وتوماس براون وبروست. يقول عن أسلوبه في أحد حواراته: «سردي مترجمة: «أترجم كتبه جملة جملة، قد تطول الجملة لتكون صفحة، لكني أستمتع بإعادة ترتيبها لتناسب السياق الإنكليزي وتقود القارئ بسلام نحو النهاية».

نرى العمق في الطرح في روايته «فكر فيّ غداً أثناء المعركة» (1994) التي تتجول بين مواضيع كثيرة منها الموت والعزلة والهوية في إطار تاملي ساخر. وتكمن قوتها في العدسة السردية المكبرة التي تتحرك ذهاباً وإياباً في المكان.

تبدأ رواياته عادةً بمشهد صادم، كحادثة انتحار غير مفهومة، موت حبيب في السرير أو ثلاثية عشق معقدة. في «غراميات» (2011 ـ ترجمها صالح علماني إلى العربية)، حاول مارياس أن يبتكر عالم الجريمة، ويطرح أسئلة وجودية عن الحياة والموت والحب والخلود. يومها، شبّهها النقاد بـ «ماكبث»، بينما تتحدث عن ناشرة كتب تراقب زوجين مثاليين لتكتشف أنهما ليسا كذلك.

كان مارياس أيضاً رجل مواقف، فرغم أنه عضو في الأكاديمية الملكية الإسبانية، إلا أنّه رفض الجائزة الوطنية عن «غراميات»، قائلاً: «حاولت طوال حياتي أن أتجنب مؤسسات الحكومة، فلا أريد أن أرى ككاتب مفضل لدى الحكومة». هكذا أخبر جريدة «لوموند»: «لقد أوقفت الدولة دعمها للمكتبات، وبذلك أشعر أنه من غير المناسب قبول الجائزة».

يتحدث مارياس في رواياته عن الذاكرة كأنّ لها ثقلها الخاص، فالماضي دائماً يثقل الحاضر، كان الشخصيات تحاول أن تجعل ماضيها يتحدث أكثر ويخبرها تلك الحقيقة التي نكتشف أنها نسبية. هناك خط رفيع يفصل الوهم عن الواقع، وهما عنصران هامان جداً في أدبه. تحاول كتبه أن تقول على طريقة ناباكوف بأن الذاكرة قد تكون خاطئة. هكذا ابتعد مارياس عما هو سائد في الأدب وعما يريده السوق، ليعبر إلى تلك المناطق المظلمة والخفية في النفس البشرية. عن عمر ناهز السبعين، انطفأ خابيير مارياس في شقته، هو الذي اعتبره النقاد الكاتب الإسباني الأهم، بل الأعظم منذ سرفانتس.

قصة

رحلة شهر العسل

خابيير مارياس

ترجمة **احمد عبد اللطيف**

كانت زوجتي قد توعّكت وعُدنا إلى غرفة الفندق سريعاً، وهناك رقدتْ وهي ترتعش وتشعر بغثيان وارتفاع طفيف في الحرارة. لم نرغب في طلب طبيب في الحال لعلّها تتحسّن، كما كنا في رحلة شهر العسل، وفي هذه الرحلة لا نرحب بتطفّل أي غريب، حتى لو كان من أجل التشخيص. لا بد أنها دوخة خفيفة، التهاب في القولون، أي شيء. كنا في إشبيلية، في فندق تفصله عن حركة مرور الشارع ساحة.

وفيما كانت زوجتي نائمة (يبدو أنها نامت حين نوّمتها وغيّرت لها ملابسها)، قررت أن ألتزم الصمت، وكانت أفضل طريقة لتحقيق ذلك، وحتى لا أقع تحت وسواس الصخب أو أحدثها بدافع الملل، أن أتطلع من الشرفة وأشاهد خطوات الناس، الإشبيليين، كيف يسيرون وماذا يرتدون، كيف يتحدثون، رغم أنه للمسافة النسبية مع الشارع وطريق السيارات لم أكن أسمع إلا الهمس. نظرت بدون أن أبصر شيئاً، كمن ينظر إلى من يأتي إلى حفلة وهو يعرف أن المرأة الوحيدة المنتظرة لن تأتي، لأنها بقيت في البيت مع زوجها. كنت أنظر إلى الخارج وأفكر في الداخل، لكني سريعاً ما التفتُّ إلى شخص، التفتُّ إليه لأنه على عكس الآخرين، الذين يعبرون في لحظة ويختفون، كان ساكناً في مكانه. كانت امرأة في الثلاثين من بعيد، ترتدي بلوزة زرقاء بدون أكمام تقريباً وجونلة بيضاء وحذاء بكعب أبيض كذلك. كانت منتظرة، حركاتها حركات انتظار بلا شك، لأنها من آن إلى آخر تخطو خطوتين أو ثلاثاً إلى اليمين أو اليسار، وفي الخطوة الأخيرة تحكّ كعب قدم أو أخرى بالأرض، وهي إيماءة إلى غضب مكتوم. في ذراعها كانت تعلّق حقيبة يد كبيرة، مثل الحقائب التي كانت تحملها في طفولتي الأمهات، أمي، حقيبة كبيرة سوداء معلقة على ذراعها على الطريقة القديمة، وليس على كتفها كما تحملها النساء الآن. للسيدة ساقان قويتان، تغرزان بقوة في الأرض كلما عادت وتوقفت في نقطة الانتظار المختارة بعد انتقال خطوتين أو ثلاث وحكّ الكعب في الخطوة الأخيرة. كانت ساقاها قويتين إلى حد أنهما تلغيان أو تخفيان الكعبين، كانتا المغروزتين في الرصيف، مثل مطواة في خشب مبلل. أحياناً ترخي واحدة لتنظر إلى خلفيتها وتفرد الجونلة، كأنها تخشى أي كسرة يمكن أن تقبّح مؤخرتها، أو ربما تعدل الكيلوت المتمرد من فوق القماش الذي يغطيه.

كان الليل يحل، وانسحاب النور التدريجي جعلني أراها أكثر وحدة مع مرور الوقت، منعزلةً أكثر ومدانة أكثر بالانتظار سدى. لن يصل من تنتظره. وهي واقفة في منتصف الشارع، لا تتكئ إلى جدار كما يفعل من ينتظرون حتى لا يعيقوا خطى من لا ينتظر ويعبر، ولذلك واجهت مشكلة تدفق المارة، شخص ما قال لها شيئاً، وهي ردّت بغضب ولوّحت له بحقيبتها الضخمة. فجأة رفعت نظرها صوب الطابق الثالث حيث أقف، وبدا لي أنها تحدق فيّ للمرة الأولى، ضيّقت عينيها كأنها تعاني من قصر نظر أو تضع عدسات متسخة، وأغلقتْ عيناً وفتحت الأخرى لترى أفضل، وبدا لي أنها تنظر إليّ أنا بالذات. لكني لم أكن أعرف أحداً في إشبيلية، بالإضافة، كانت زيارتي الأولى لهذه المدينة، رحلة عرسان مع زوجتي، المريضة الآن وراء ظهري، وأتمنى ألا يصيبها مكروه. سمعت همساً نابعاً من السرير، لكني لم ألتفت لأنه كان أنيناً من أرض الحلم، والمرء يتعلم سريعاً تمييز صوت النائم الذي يرقد بجواره. خطت المرأة خطوات، والآن تسير في اتجاهي، عابرةً الشارع، متجاوزة السيارات بدون النظر إلى إشارة المرور، كأنها تريد الاقتراب سريعاً لتتحقق، لتراني بشكل أفضل وأنا أطل من الشرفة. مع ذلك، كانت تسير بصعوبة وبطء، كأن كعب حذائها لم يعتد السير أو قدميها لم تُصنعا للكعب، أو أن الحقيبة تفقدها توازنها أو تشعر بدوار. كانت تسير كما سارت زوجتي حين شعرت بالتعب، حين دخلت الغرفة، وحين ساعدتها أنا على خلع ملابسها وحملها إلى السرير وتلبيسها المنامة. عبرت السيدة الشارع، والآن كانت أقرب لكنها لا تزال على مسافة، تفصلها عن الفندق ساحة تقع بينه وبين طريق السيارات. كانت تواصل النظر إليّ، بعينين إلى أعلى أو إلى مستواي، لارتفاع البناية التي أقف فيها. وحينها لوّحت بذراع، تلويحة لم تكن تحية ولا إشارة، أقصد ولا إشارة إلى غريب، وإنما تلويحة ملكية وتعرّف، كأني أنا الشخص الذي كانت تنتظره وكأن موعدها كان معي. كأنها بتلويحة ذراع، متوّجة بحركة أصابع سريعة، تريد أن تختطفني وتقول: «أنت تعال هنا» أو «أنت لي». في الوقت نفسه صرخت بما لم أستطع سماعه، ومن حركة شفتيها فهمت فقط الكلمة الأولى، التي كانت «إيه»، منطوقة باستياء، مثل بقية العبارة التي لم أسمعها. وواصلت سيرها، والآن لمست الجونلة من الخلف لأسباب أكبر، لأنه بدا أن من يمتلك حق الحكم على هيئتها غدا أمامها. المنتظر يمكنه الآن أن يقيّم سقوط الجونلة. وحينها استطعت سماع ما قالته: «إيه، ماذا تفعل هنا؟»، وكانت الصرخة مسموعة، ورأيت ملامح المرأة أفضل. ربما لديها أكثر من ثلاثين عاماً، وعيناها المغمضتان بدتا لي عسليتين أو رماديتين أو بلون البرقوق، وشفتاها غليظتين، وأنفها عريضاً بعض الشيء، بمنخارين منفوخين أثر الغضب، لا بد أنها تنتظر منذ وقت طويل، وقت أطول من الزمن الذي التفتُّ إليها فيه. كانت تتعثر وصدمت شيئاً ووقعت على أرضية الساحة، وسريعاً ما تبقّعت جونلتها البيضاء وخُلِعت فردة من حذائها. استوت بجهد، بدون رغبة في وطء الرصيف بقدم حافية، كأنها تخشى أن تدنس أيضاً الطابق الذي صار الآن مكان موعدها، الآن حيث يجب أن تكون بقدمين نظيفتين لأن الرجل الذي واعدته معه سيراهما. في النهاية انتعلت فردة الحذاء بدون أن تضع قدماً على الأرض، ونفضت الجونلة وصاحت: «لكن ماذا تفعل هنا؟ لماذا لم تقل لي إنك صعدت؟ ألم ترني أنتظرك منذ ساعة؟» (قالت ذلك بنبرة إشبيلية بسيطة، ناطقة الثاء سيناً). وفيما تقول ذلك، عادت لتلوّح تلويحة الخطف، ضربة ذراع عارية في الهواء وبحركة أصابع سريعة ترافقها. كأنها تقول لي «أنت لي» أو «أنا سأقتلك». وبتلويحتها يمكنها أن تشدني وتجرّني بمخالبها. هذه المرة صرخت كثيراً وكانت قريبة جداً إلى حد أني خشيت أن توقظ زوجتي في السرير.

- ماذا يجري؟ قالت زوجتي واهنة.

التفتُّ إليها وكانت جالسة في السرير، بعينين مذعورتين، عينَي مريضة تستيقظ ولا تزال لا ترى شيئاً ولا تعرف أين هي ولا لماذا تشعر بغربة. كان النور منطفئاً. وفي تلك اللحظة كانت مجرد امرأة مريضة.

- لا شيء، عودي إلى النوم، أجبتها.

لكني لم أقترب لأتحسس شعرها أو طمأنتها، كما كنت أفعل في ظروف أخرى، لأني لم أستطع ترك الشرفة، وبالكاد استطعت أن أبعد نظري عن تلك المرأة المقتنعة أنها قد واعدتني. الآن تراني بشكل أفضل، وكنت بلا شك الشخص الذي واعدته مواعدة هامة، الشخص الذي آلمها بتركها تنتظر منذ ساعة، وأهانها بغيابه الطويل. «ألم ترَ أنّي أنتظرك هناك منذ ساعة؟ لماذا لم تقل لي شيئاً!» كانت تصرخ غاضبةً، مسمّرةً أمام الفندق وتحت شرفتي. «هل تسمعني! سأقتلك!». قالت صارخة. ومن جديد لوّحت بذراع وبأصابع، تلويحة تختطفني.

- لكن ماذا يجري؟ سألت زوجتي مجدداً وهي مذعورة في سريرها.

في هذه اللحظة رجعت إلى الوراء وأغلقت باب الشرفة، لكني قبل ذلك رأيت سيدة الشارع، بحقيبتها الضخمة القديمة وبحذائها بكعب الإبرة وبساقيها القويتين وسيرها المترنّح، تختفي من مجالي البصري لأنها دخلت الفندق بالفعل، بنية الصعود لمقابلتي في مكان الموعد. شعرتُ بفراغ وأنا أفكر في ما يمكن أن أقوله لزوجتي المريضة لأشرح لها التطفل الذي سيقع بعد قليل. كنا في رحلة شهر العسل، وفي هذه الرحلة ليس محبباً أي تطفل من غريب، رغم أنّي لست غريباً، على ما أظن، بالنسبة إلى المرأة التي تصعد الآن على السلم. شعرت بفراغ وأغلقت الشرفة. وجهّزت نفسي لفتح الباب.

ترجمة

مقتطفات من الشّعر الإيراني الحديث وقلبك حمامة سلام ينبض في الدم

يتّفق مؤرّخو الآداب الفارسيّة على أنّ معالم التحديث الأولى في الشعر الإيراني، كانت بفضل نيما يُوشيجْ (1926-1960)، بحيث صار يُتَحَدَّثُ مع منجَزه الشعري عن مصطلح «القصيدة النّيمائيّة» باعتبارها قطيعةً مع الشكل التقليدي للقصيدة الفارسية المستنِدة إلى أشكال وزنية ثابتة وبحور مضبوطة كالمتنوي والدوبيت والرباعية والغزلية. مع نيما يوشيج، صار الشكل الشعري متحرّراً من أسْر العدد والوزن الرّتيب والتفاعيل. خطوة أتاحت لمجدّدٍ آخر البناء عليها لتثوير القصيدة الإيرانية، من منطلقاتٍ يسارية وبالرّفد من قراءاته في التجارب الشعرية العالمية. الا وهو الشاعر أحمد شاملو (1925-2000) الذي ذهب بالقصيدة إلى أبعد امداتِها اشكالاً وموضوعات. ها سيتيح للشعراء الإيرانيين التجريب باشكال اكثر تحرراوبفانتازيا اكبر في نسج الصور. هذا ما يتحقق مثلاً في القصائد المقطعيّة التي تشبه الهايكو والشذرة عند فريدون فرياد، او القصيدة المتحررة من الوزن كليّا عند كروس عبد الملكيان

تقديم رشيد وحتي

1. أحمد شاملو: أنا اللاّم المشترك، اصرُخْني! (*)

ترجمة وتقديم **فاطمة بَرْجكاني**

أحمد شاملو شاعر قبل أي شيء آخر. تنوّعت مساهماته الأدبية، لكن الشعر ظلّ تاج إبداعاته. ويرجع اهتمامه بالشعر إلى سنوات الشباب الأولى. قرأ قصائد نيما يوشيج الملقّب بـ «أبو الشعر الإيراني الحديث» وهام بها. سعى إلى التعرّف عليه عن قرب، وكان له ذلك، ونشأت علاقات صداقة وارتباط وتأثّر بينهما. وقد أشار شاملو إلى اهتمامه بأشعار نيما وتأثّره بها، بقوله: «في الحقيقة، برغم أنّ نيما العظيم هو الذي ضرب الضربة الأولى، وسبّب اليقظة الأولى، إلا أنّ هذه الضربة كانت محيّرة في تلك الفترة. استيقظنا بصرخة نيما من نوم يشبه الموت، وشعرنا بجوع كبير، لكنّنا لم نكن نجد شيئاً، لأنّ نظراتنا كانت لا تزال مثقلةً بسبات على مدى مئات السنين».

عام 1957، عاد الشاعر فريدون رهنما من باريس بعد دراسته في اختصاص الأدب في جامعة السوربون، وأصبح بيته «ملجأ للأمل والتعلّم» على حدّ قول شاملو. فتح أمام الشعراء الشباب أبواب الشعر العالمي، وظلّ يشجّعهم على الحداثة. وقد أكّد شاملو على أهميّة الشعراء من بلدان ولغات مختلفة في تكوين الشعراء الإيرانيين، وفي تفجير مواهبهم وإيقاظ الرغبة في التجديد لديهم؛ ومنهم الفرنسيان بول إيلوار وهنري ميشو والإسباني فديريكو غارثيا لوركا والتشيلي بابلو نيرودا والتركي ناظم حكمت والأميركي لانغستون هيوز والسنغالي الفرنسي ليوبولد سنغور. وقال إنه وأقرانه من الشعراء الشباب تعلّموا الشعر في لغات أخرى، من شعراء عالميين، ثمّ عادوا إلى الشعر الفارسي، واهتمّوا بقصائد الكبار كحافظ الشيرازي ومولانا جلال الدين الرومي، وتعمّقوا في معرفتها، وقرؤوها بمنظار مختلف عن السابق، وبمعايير حديثة سائدة في الشعر العالمي. وعن تأثّره بالشاعر الفرنسي بول إيلوار، قال: «أوّل لقائي به، كان من خلال سطر واحد من شعره: «أجرحُهُ بجرح أعمق من الانزواء». هزّني هذا السطر».

إضافة إلى التراث الفارسي وينابيع الشعر العالمي، ينبغي أن نشير إلى أثر الكتب المقدّسة، القرآن والإنجيل والتوراة، في شعر أحمد شاملو. حتّى المرحلة التي نشر فيها ديوانه الأوّل «الأغاني المنسية» (سنة 1947)، كان شاملو محتفظاً بأسلوب قصيدة التفعيلة التي عُرفت بالأسلوب النيمائي نسبةً إلى الشاعر نيما يوشيج. وفي عام 1950، ظهرت الشرارات الأولى للثورة الكبيرة في الشعر الحديث الإيراني الحديث، إذ تخلّى شاملو عن الوزن في قصيدة «حتّى زهرة القميص الحمراء»، واشتهر أسلوبه بـ «الشعر الأبيض» و«الشعر المنثور» و«الشعر الشاملوئي». ولم يكن شاملو أوّل من قرّب الشعر إلى النثر، لكنّه جعل المحاولات في هذا السبيل تعطي ثمارها. وكان نشر مجموعته «الهواء النقي» عام 1957 ذروة القالب الشعري الجديد في الأدب الإيراني المعاصر المتحرّر من الوزن. في ما يتعلّق بالموسيقى الشعرية، بنى شاملو على مبدأ عدم وجود الوزن. لا يرى الوزن لازماً ولا ينفيه ولا يتخلّى عنه نهائياً. يقول: «لا أنظر إلى الوزن باعتباره ضرورياً وذاتياً أو امتيازاً للشعر، بل بالعكس أرى أنّ الالتزام بالوزن يحرّف ذهن الشاعر، لأنّ الوزن لا يتسع إلا لكلمات معدودة، ويترك كلمات أخرى وراءه، وقد تكون تلك الكلمات هي نفسها التي تقع في اتّجاه الإبداع الذهني للشاعر في سلسلة التداعيات. أؤكّد على الضروري والذاتي والالتزام. لكن في هذه الأثناء، إذا جاء شعرٌ موزوناً، فيكون قد جاء من تلقاء نفسه، ولا نفكّر بطرده».

وإلى جانب فوز أحمد شاملو بالثناء من النقّاد والقرّاء على السواء، فقد عانى من الاضطهاد السياسي أحياناً، ومن تدهور حالته الصحية أحياناً أخرى. في عام 1972 سافر إلى باريس وخضع لعملية جراحية لعلاج التهاب المفاصل. كما أُجريت له عمليّتان جراحيّتان في رقبته في بوسطن عام 1990. وقضى سنوات حياته الأخيرة يوجعه مرض السكّري، حتى اضطرّ الأطبّاء إلى بتر ساقه اليمنى. وأسلم شاملو الروح في 24 تمّوز (يوليو) سنة 2000، ودُفن جثمانه في مدينة كَرَج قرب طهران.

1. الحبّ العامّ

الدمعةُ سرٌّ
الابتسامةُ سرٌّ
الحبُّ سرٌّ

دمعةُ تلك الليلة كانت ابتسامة حبّي.

■■■

لستُ قصّةً تقرأها
أنا الذي أدركتُ جذورَك
تحدّثتُ بشفتيك إلى شفاه العالمِ كلّه
ويداك تعرفان يدي.

بكيتُ في خلوتِك المشرقة
من أجل الأحياء،
وغنّيتُ معك في المقبرة المظلمة
أجملَ الأناشيد
لأنّ أمواتَ هذه السنة
كانوا أكثر الأحياء عشقاً.

■■■

أعطِني يدَك
يداك تعرفانني
يا من عثرتُ عليه متأخّراً
أحادثك كغيمةٍ تحادث الطوفان
كعشبةٍ تحادث الصحراء
كمطرٍ يحادث البحر
كطائرٍ يحادث الربيع
كشجرٍ يحادث الغابة

لأنّي
أدركتُ جذورَك
لأنّ صوتي
يعرف صوتَك.
(1955)

2. ليلية

لستُ لي من دون سبب.
صلةُ أيّ قصيدةٍ أنتَ؟
أيّها الغزل؟
إجابةُ أيّ سلامٍ أنتَ
تنزل عليّ نزولُ أمطار من النجوم
في الشمس،
من النافذة المظلمة؟

الكلام بولَد من نظرتك
حبّذا نظرات مختلسة تبدأها أنت!

■■■

من خلف إنسان عينيك
صرخةُ أيّ سجنٍ
ترمي الحرّية
إلى شفة الوردة المتورّمة؟
لكن وابل النجوم هذا
لا يُدين الشمسَ أبداً.

■■■

النظرةُ تصبح آمنةً بصوتك.
يا لصدقك حين تتغنّى باسمي!

■■■

وقلبُك
حمامةُ سلام،
ينبض في الدم
على سطح المرارة.

رغم ذلك كلّه
كم تطير
عالياً
سامياً!
نيسان (أبريل) 1972

(*) قصيدتان من كتاب «مختارات شعرية لشاملو» بالعنوان نفسه صدر حديثاً عن «دار التكوين» في دمشق. والمترجمة عضو هيئة التدريس في «جامعة الخوارزمي» في طهران.

«أرض الأحلام» لشيرين نشأت (2021)

أدونيس: في ضوء الكينونة

كنتُ، فيما أقرأ الترجمةَ العالية التي أنجزَتها فاطمة برجكاني، لمختاراتٍ من شعر أحمد شاملو، أشعر كأنّني أقرأ صوتاً مشحوناً بالغَصَصِ يحمل هذه الأسئلة الثّلاثة:

لماذا أكتب؟

ما المشروع الذي أكتُبُ في أُفقه؟

هل يمكن أن يغيّرَ العالمَ بشرٌ إذا لم يكونوا هم أنفسُهم قد تغيّروا؟

وهذه أسئلةٌ تُجسّدُ المشكلةَ الأولى في كتابة الشّعر في المُجتمعات التي تُهيمن عليها الثّقافة الغيبية. وهي مُشكلةٌ تزداد تعقيداً، على جميع الصُّعُد، عند الشاعر الذي يَعي أنّ كيانَهُ، ذاتياً وإبداعياً، كُلٌّ لا يتجَزّأ: لغةً، ورغبةً، ورؤْيةً. ويَعي في الوقت نفسِه، أنّ الثّقافةَ التي تقومُ على التَّدَيُّن أو على التَّأَلُّه، تقومُ جوهَرياً على مُسَبَّقاتٍ يقينيّة، مُطْلَقة ونهائيّة، إنّما هي نقيضٌ كاملٌ لهذا الوعي. خصوصاً أنّ القصيدةَ التي تصدرُ عنه، ليست مجرّدَ انفعالٍ فرديٍّ، قبولاً أو رَفْضاً، وإنّما هي رؤْيةٌ مُتكامِلة في سِياقٍ متكامل، شعورياً وجمالياً وفِكرياً، كأنّها شَريحةٌ حيّةٌ من مادّة الواقع. ومن حركيّةِ الحياة. وبحيث تبدو القصيدة كأنّها ليست مُجرّدَ ابنةٍ للزمن الذي كُتِبت فيه، وإنّما هي ابْنَةُ الأزمنة كلّها، تتموَّجُ في الجهاتِ الأربع من الكون.

تكشف لنا التّجربة الشّعريّة في هذا المُسْتَوى أنّ القَديمَ الثّقافيَّ المُؤَسّسيَّ في الموروث التقليدي الغيبي السائد آخِذٌ في جميع صوَرِه، بالخروج من التّاريخ الحيّ الخلّاق الذي تتفجّرُ فيه الحياة بانقلاباتٍ مَعرفيّةٍ كُبرى، في جميع الميادين، لا سابِقَ لها. وتُدرِكُ الأجيالُ الطّالعةُ أنّ الزّمنَ لا يحملُ في سفره اللانهائيّ إلا ما يُوحِّده مع الأبديّة، وإلا ما يُضيءُ الكينونةَ الإنسانيّة. أحمد شاملو شاهِدٌ شِعريٌّ خلّاقٌ على هذه اللانهائيّة المضيئة.

أدونيس (باريس، نوفمبر 2021)

«انا سرّة» لشيرين نشأت (1994)

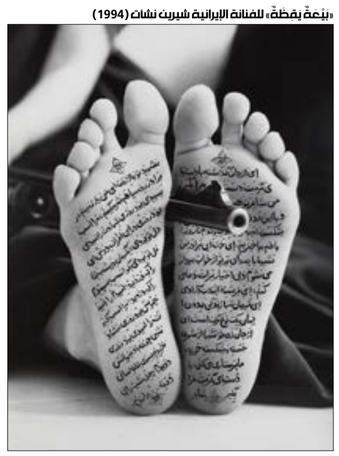

«يَتْعةٌ بقطّة» للفنانة الإيرانية شيرين نشأت (1994)

«توليف» لشيرين نشأت (1995)

11 ــ فريدون فرياد: مفاتيح ملقاة في قاع البئر

ترجمة وتقديم **مصطفى مجاهد**

اسمه الحقيقي فريدون رحيمي، ولد في 1949 في إيران. نشر، في بداياته، قصائد في مجلّات أدبية متخصصة في الشعر. درس الأدب اليوناني الحديث في إحدى الجامعات اليونانية. حاز جائزةَ أفضل مترجم من اللغة اليونانية. نشر كتاباً بعنوان «حكايات الجنة» عبارة عن حكايات شعرية لأربعة كتاب إيرانيين (الفردوسي، نظامي، فريد الدين العطار، وكرماني). يعتبَر فريدون فرياد من بين أفضل الشعراء الإيرانيين في جيله، ترجمت نصوصه إلى لغات عدة. نشر أنطولوجيا شعرية تضم نصوصاً شعرية واسعة تخصّ مجموعة من الشعراء اليونانيين الحديثين. كما نشر ديواناً بعنوان: «سماء بدون جوارٍ سفر». توفي في عام 2012 بعد مرضٍ عضال ألمّ به.

1

زرعت الكلمات على الصفحة
فنمت شجرة كثيفة

2

لا تنهي قصيدتك
أرجوك لا
حتى تتمكن النجمة من البدء

3

أنظر في المرآة
واراكِ
أنتِ،
فهل ترينني؟

4

زهور ذابلة في مزهرية
كتب لم تقرأ أبداً
قصائد غير مكتملة
ومفاتيح ملقاة في قاع البئر

5

كرسي أخضر
حديقةٌ ربيعية
نوافذ مغلقة
بيت معتم
هل سوف يعودون؟

6

في كل محطة مظلمة
بين كلماتك
نضع نجمة

7

الأشجار في السماء
الشمس على الأرض
أحاول كتابة الشعر

8

حتى الأبد
يمكن أن ينتهي
إذن، حضّروا الحواجز

9

التمثال وأنا
استعرنا أجنحة
العندليب
للنفاذ
إلى سماء
يتعذر شرحها

10

علّمتُ
كلمات قصائدي
للنجوم،
للعصافير،
لأوراق الشجر،
للباعة التائهين.

11

أسَدُّ الفراغ
بقليل من القمر
بالقصائد
أو بالقبلات

12

ثلاث أشجار
أرنبان أبيضان
كرسي فارغ
وغيابي

III. كروس عبد الملكيان:

ترجمة وتقديم **ماهر جمو**

شاعر إيراني، ولد في طهران عام 1980، هو ابن الشاعر الإيراني المعروف محمد رضا عبد الملكيان. يعمل محرراً في قسم الشعر في دار نشر «جشمه» (الينبوع). يُعتبر من ألمع الأسماء الشعرية في إيران خلال السنوات الأخيرة. تتميز قصائده بالتراكيب الشعرية المبتكرة، وبالذكاء والحساسية العالية في صياغة المناخ الشعري. ترجمت أشعاره إلى لغات عديدة، منها الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية والعربية والكردية، وغيرها. من أعماله الشعرية: «الطائر الخفي» (2002)، «ألوان العالم الزائلة» (2004)، «السطور تغيّر أماكنها في الظلام» (2008)، «الحُفر» (2010)، «لا شيء جديدٌ مثل الموت» (2013)، «القبول» (2014).

1. احجية الصور المقطّعة

ها هي تعود من جديد
الآلامُ القديمةُ،
صوري المعتمةُ في المرآة
والأحلام.

هذه المرّةُ
أريدُ أن أقطّع نفسي
قطعاً كثيرة
لعلّ يداً ما تُعيدُ...
كلّا!
فهذه الأحجية
لو أعدتَ تركيبها ألف مرّة
لن تصبح سوى ما هي عليه الآن.

2. حجارة القرميد

الكذب جدارٌ
تبنيه من القرميد كل صباح.
عزيزي البنّاء الشارد
لقد نسيت الباب!
يغمرني الماءُ حتى رقبتي
يغمرني القرميدُ حتى رقبتي
يغمرني الماءُ حتى شفتي
الماءُ يرتفع...

لكنني لا أموت
إنني أتحوّل إلى سمكة.

3. سيرة ذاتية

أحبُّ الطيور التي فوق السطح
والحبوب التي أنثرها لها كل يوم.
بينها
طائرٌ ناكرٌ للجميل،
أعرفُ أنه سيرحلُ إلى السماء ذات يوم
ولن يعود.
ذاك الطائرُ
أحبّهُ أكثر.

4. رحيل

أجمع شباكي
من كل البحار
الأسماكُ
أجملُ من قصائدي.

محوتُ طريق بيتكِ
من ذاكرة حذائي
لا تحزني!
أنتِ أيضاً تعرفين
أنّ صورتكِ بمفردكِ كانت أجمل على الدوام
جمالكِ وتعب هذا الجدار
المتكئ عليّ في كلّ الأحوال.

قلبي منقبضٌ
تماماً مثل لقلق
يمتحنُ أجنحتَه للرحيل
قلبي منقبضٌ وأعرفُ
أنّ هذه الطائرة
لن تهبط أبداً على بحيرة
قلبي منقبضٌ
وهذه العلبة لا تنفتح

في النهاية
سأتناولُ هذه الأقراص.

5. سقوط

ليست تراباً
ولا دائرية:
الأرضُ
في دفتر رسم الفتاة الصغيرة
رأسٌ مفصولٌ عن الجسد
يدور في الفضاء.
إننا نتهمّرُ مثل أفكارٍ مقلوبةٍ رأساً على عقب،
مثل سطورٍ غامضةٍ
على يد شاعر،
وصمتٍ طويل
في حلقِ المقبرة الحجريّ.
نتهمّرُ
بلون أصفر على الخريف
لدرجةِ أنّ اللون الأخضر، مهما بحث،
لا يجد مكاناً للجلوس

ننسكبُ مثل الشاي في فنجان ناصر الدين شاه
وقطرات الدم في حمّام «فين»،
نتساقطُ
ندفاً دقيقةً
دقيقةً
دقيقةً
مثل الثلج
الذي لم يعرف أحدٌ قطّ
أنه قطعٌ من انتحار غيمة
ننهالُ
مثل القنبلة على الأرض
مثل التراب على وجهك.
نسقط،
هذه التفاحةُ أيضاً لكِ أيتها الفتاة الصغيرة!
فكّري مرّةً أخرى:
لم يكتشف نيوتن قطّ
ما كان ينبغي اكتشافه.

دراسة

جورج كدر يستدعي «آلهة العرب»

محمد ناصر الدين

«اتّبعت في معجمي هذا منهج التنقيب الأثري، ولكن بدلاً من الحفر في باطن الأرض والتنقيب في مساحات شاسعة عن قطعة أثرية، ربما تكون هنا أو هناك، قمت بالتنقيب معرفياً ولغوياً في بطون كتب التراث وفي فضاءات اللغة العربية الساحرة والذاخرة بالكنوز القيمة. ما قادني إلى هذا النهج هو الاستعاضة عن إهمال المكتشفات الأثرية في جزيرة العرب، لا سيما أن أغلب المواقع القيّمة دفنتها رمال الصحراء، عدا عن تعرُّض الكثير منها للسرقة والتخريب وعدم الاهتمام. وتأتي أهمية هذا المعجم من كونه تتويجاً لأعمال السابقين من أهل الأخبار والسير، القدماء منهم والمعاصرون، وقد تمكنت من إحصاء أكثر من ثلاثمئة وثلاثين صنماً عبدتها العرب في مراحل مختلفة من حياتهم قبل الإسلام، ومنها ما استمرت عبادتها إلى ما بعد ظهور الإسلام».
بهذه الملاحظة المنهجية يصدّر الكاتب السوري المقيم في هولندا جورج كدر (1978) كتابه القيّم «معجم آلهة العرب قبل الإسلام» الذي أصدرت «دار الساقي» أخيراً طبعته الثالثة في الذكرى العاشرة على طبعته الأولى.
المشروع جزء من مسيرة لا تعرف الكلل ابتدأها الباحث الحمصي منذ حوالى عقدين من الزمن بكتابه «جذور النكتة الحمصية» (دار رسلان ـ 2005) الذي يستكشف جذور النكتة وأسباب إطلاقها على أهل مدينته حمص وما كشفه التراث الشعبي بأنّ لأهل المدينة عيداً يحتفلون به يوم الأربعاء وهو «عيد المجانين». وصل في بحثه إلى أن «عيد المجانين» كان عيداً قديماً من أعياد الربيع المقدسة في الشرق القديم. كما أن حمص كانت كعبة للحجاج بمفهوم ذلك الوقت، واستطاعت ذاكرة مدينة حمص أن تحتفظ بواحد من الأعياد المقدسة في ذاكرتها الجماعية برمزيته ودلالاته الاجتماعية أكثر من طقوسه الوثنية. هذه الرحلة في نكتة حمص وأعيادها دفعت كدر إلى سلسلته المهمة الأخرى «مكتبة الجنس في حياة العرب» (أطلس): «فن النكاح في تراث شيخ الإسلام جلال الدين السيوطي» بأجزاء ثلاثة، و«سقيفة حبى» (2011) و«نون الصريح المدفون» (2012)، إضافة إلى كتابين محقَّقين: «نزهة المتأمل ومرشد المتأهل (في فضائل النكاح)» لجلال الدين السيوطي (2012)، و«رشف الرضاب وفاكهة الأحباب» (2013) لمحمد راجي الحلبي الساعاتي.
مكتبة شاملة أقرب إلى بانوراما مدهشة للحرية الجنسية عند العرب القدماء، وتداخل رؤيتهم إلى الجنس بالرؤيا إلى الحياة والوجود، والحوار مع الدين في نظرية فلسفية للحياة لا ينفصل فيها المادي عن الروحاني، ويتداخل فيها المقدس والمدنس بطريقة جدلية خلّاقة أبعد ما تكون عن الإسقاطات والرؤى الاستيهاميّة للاستشراق عن الجنس في الشرق وعالم الحريم والجواري. هذا البحث في بطون كتب التاريخ وتماس الأرضي والسماوي في حياة الإنسان العربي القديم وأفقه المفتوح على الرمال والنجوم على حدّ سواء، هو ما جعل كدر يشرع في مؤلفه «معجم آلهة العرب قبل الإسلام». أول ما يبرز في الكتاب نقطة هي غاية في الأهمية تتمثل في الرد على المزاعم القائلة بضيق أفق الحياة الدينية للعرب قبل الإسلام. يؤكد الباحث بأنه لا يوجد شعب من شعوب الأرض قاطبة عرفت حياته الدينية والفكرية، التنوّع والتعدّد، كما كانت عليه الحال في جزيرة العرب قبل الإسلام. ويضيف بأن الحياة الدينية العربية قد ضجّت بتنوع لا محدود في عبادتها، ورأت في الظواهر الكوكبية والسمائية عبادات لا تقل أهمية عن الظواهر الأرضية التي حار الإنسان في إيجاد تفسير لها: «يخطئ من يظن أنّ العرب اقتصرت عباداتها على ما جسّدته من أصنام عبدتها بذاتها، لأن العرب عبدوها (زُلفى) وتقرّباً من كائن علوي يتربع على عرش مجمع الآلهة. ويخطئ من يظن أيضاً، أن دين العرب قبل الإسلام اقتصر على معبودات أرضية، ففي اليمن القديم عُرف إله باسم «ذو سمائي» وآلهة بـ «ذات سمائي» أي صاحب السماء، وصاحبة السماء. هذا يعني في ما يعنيه أن العرب اعتقدت بـ «سكان السماء» وجعلوا منهم آلهة لهم. في دين العرب القدماء، نجد آلهة كوكبية ونجد بين آلهتهم أيضاً آلهة الخصب وآلهة الموت وآلهة الحرب وآلهة التجارة والقوافل وآلهة السلام وآلهة البحر وآلهة الجبال، كلها وردت في تنوّع مدهش جعل منها «موزاييك» أضفت بعداً جديداً على نظرتنا. قبل مئات وربما آلاف السنين، يأتي هذا التنوع إلى مجتمعهم كصيرورة طبيعية لتطور الفكر الديني العربي الذي شكّل الإسلام آخر حلقاته، وامتدّ من جزيرة العرب إلى العالم بأسره».
استند كدر في مؤلفه على مجموعة من أمهات كتب التراث، معتمداً على «كتاب الأصنام» لابن الكلبي، ومحاولة محققه العلامة أحمد زكي باشا متابعة هذا العمل في ملحق أسماه «تكملة الأصنام»، ومعتمداً في العصر الحديث على العلامة العراقي جواد علي الذي يُعدّ أبرز من خاض في هذا الميدان في سلسلته العظيمة «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» بأجزائه العشرة، سيما الجزء السادس الذي خصّصه لأديان العرب وآلهتهم، وكذلك على ما تناثر في كتب أعلام من التراث مثل ابن دريد وابن حبيب من أسماء أصنام وآلهة العرب القدماء، لا يكتفي جورج كدر بعرض أكثر من 360 من آلهة العرب فحسب، بل يشرع في إزالة الغبار عن الكثير من المرويات والأخبار حول معتقدات العرب القديمة. يقابل بين الأخبار ويسرد الأساطير المرتبطة بها وموقف الرسول العربي والمتأخرين منها. ففي قصة إساف ونائلة مثلاً التي أفرد لها الباحث العراقي فاضل الربيعي كتاباً كاملاً (دار جداول، 2012)، نقرأ: «إساف ونائلة صنمان عظيمان لقريش على شكل زوجين كانت العرب يتمسحون بهما وينحرون ويذبحون عندهما، وكانوا يحلقون رؤوسهم عندهما إذا نسكوا، ولم تكن تدنو منهما امرأة طامث. وكانت ثيابهما كلما بليت أخلفوا لهما ثياباً. وكان الطائف إذا طاف بالبيت، يبدأ بإساف فيستلمه ويتمسح به، فإذا فرغ من طوافه ختم بنائلة فاستلمها فكانا كذلك حتى كان يوم الفتح فكسرها مع ما كسر رسول الله من الأصنام. تقول روايات الإخباريين: إنهما كانا رجلاً وامرأة من جرهم تعشّقا بعضهما وزنيا في الكعبة فمُسخا حجرين، والـلافت أن الفاكهي يعتمد ضمن ما يعتمد من مصادر روايته على «رواية أهل الكتاب» وهذا يشير إلى أن إسافا ونائلة كانت من المرويات التي يتداولونها في كتبهم». ثم لا يلبث كدر أن يشرع في شرح تسميتهما والأشعار والتلبيات التي قيلت فيهما، وموضعهما، وطقوس عبادتهما استناداً إلى روايات الطبري وابن الكلبي والأزرقي وابن حبيب وصولاً إلى تطور موقف الرسول منهما من الاستنكار إلى الرفض والكسر، فعرض الباحث ابن عساكر عن ابن عباس: «كان محمد صلّى الله عليه وسلّم يقوم مع بني عمته عند الصنم الذي عند زمزم، واسم الصنم إساف، قال: فرفع رأسه يوماً إلى ظهر الكعبة ثم ولى ذاهباً. قال: فقال له بنوعمته: ما لك يا محمد؟ قال: إني نهيت أن أقوم عند هذا الصنم» ثم ينتقل لعرض الرواية الثانية عن بريدة قائلاً: دخل جبريل عليه السلام مسجد الحرام، فطفق يتقلب، فبصر بالنبي صلّى الله عليه وسلّم نائماً في ظل الكعبة. فأيقظه فقام ينفض رأسه ولحيته من التراب. فانطلق به نحو باب بني شيبة، فلقيهما ميكائيل، فقال جبريل لميكائيل: ما يمنعك أن تصافح النبي صلّى الله عليه وسلّم؟ قال: أجد من يده ريح النحاس، فكأن جبريل أنكر ذلك، قال: أوقد فعلت؟ وكان النبي صلّى الله عليه وسلّم نسي ثم ذكر، فقال: صدق أخي، مررت أول أمس على إساف ونائلة فوضعت يدي على أحدهما، فقلت: إن قومي رضوا بكما إلهاً مع الله، لقوم سوء». إضافة إلى المتعة المعرفية والتاريخية، تكمن أهمية كتاب «معجم آلهة العرب قبل الإسلام» في أن المؤلّف يتناول بالبحث والعرض ثاني أقانيم الثالوث المحرم كما سماه المفكر السوري بو علي ياسين، أي ثالوث الجنس والدين والسياسة، واعداً قراءه، كما يقول في أحد أحاديثه للصحافة، بوجبة دسمة حول السياسة والتراث قريباً.

الحياة الدينية العربية ضجّت بتنوع لا محدود

لمحات

سامي سويدان

يطمح الناقد اللبناني سامي سويدان في كتابه «في الشعر العربي: سحر النصوص، المقاربات والمسرّات والمضاعفات» (مركز دراسات الوحدة العربية) إلى المساهمة في إرساء القواعد الصحيحة والمتينة لدراسة الأعمال الشعرية بصورة فاعلة ومُجدية لاستشفاف جوانبها الإبداعية وأبعادها الدلالية. يلتزم المؤلف منهجاً نقدياً حديثاً قوامه مقاربةٌ ترصد التشكُّل الخاص الذي تتبدى به بُنية هذه الأعمال، وتهدف إلى إدراك الغنى الدلالي والرقي الجمالي للنصوص الشعرية، وبلوغ كنوزها وأسرارها الدفينة. تُميِّز المنهجية النقدية المعتمدة في هذا الكتاب بين ثلاثة أوجه: تفسيري تعييني يُعنى بالظاهر المباشر؛ وتعليلي تضميني يهتم بالمقصود غير المباشر، وتأويلي افتراضي، ينظر إلى اللاوعي المحتمل.

كريم مروة

يتضمن كتاب المفكر اللبناني كريم مروة «أضواء على رواد الإصلاح الديني في العصر الحديث» (الدار العربية للعلوم: ناشرون) قراءة لآراء مجموعة من المصلحين الدينيين العرب واللبنانيين من مطلع القرن التاسع عشر حتى أواخر القرن العشرين منهم: رفاعة الطهطاوي، خير الدين التونسي، جمال الدين الأفغاني، الإمام محمد عبده، عبد الرحمن الكواكبي، السيد محسن الأمين، السيد عبد الحسين شرف الدين وغيرهم. يستحضر المؤلف مواقف هؤلاء الروّاد التي تمثل نقيضاً لما ساد وما زال يسود العالم العربي والإسلامي من فهم مغلوط للدين يتعارض مع قيمه الإنسانية والروحية. يعتبر مروة أن هذا الاستخدام السيّئ للدين، قد أدّى إلى جعل الدين الإسلامي عاملاً متعارضاً مع التقدم والحضارة وحرية الإنسان.

جورجي آمادو

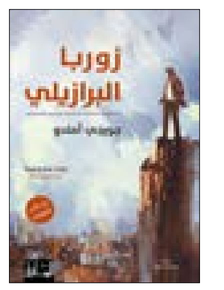

يُبحر الكاتب البرازيلي جورجي أمادو (1912 ـ 2001) من خلال روايته «زوربا البرازيلي» (1969) الصادرة أخيراً بترجمتها العربية عن «دار الساقي» (ترجمة ممدوح عدوان) في عوالم البسيطين والمُهمّشين، منتصراً لهم، ساخراً من الرأسمالية المُزيفة للهوية الوطنية، ومن نخب المثقفين الذين باتت السطحية سمتهم. يحكي الكاتب عن رجل برازيلي يدعى بدرو أرشانجو يؤمن بثقافة شعبه وتراثه الحضاري، ويحارب كل من يرغب في القضاء على هذا الإرث الإنساني وفرض الثقافة الغربية المستوردة وإلغاء كل ما هو محلي. يشبه البطل بدرو ارشانجو، زوربا اليوناني في شغبه وحبه اللامتناهي للحياة، وقدرته الفائقة على ممارسة فلسفة الوجود دون الحاجة للادعاء أو المبالغة.

جبور عبد النور ومحمود موسى

جمعت «وكالة الصحافة العربية- ناشرون» كتابين نادرين وضمتهما معاً بين دفتي كتاب واحد تحت عنوان «الجواري: دراسة وتراجم». الكتاب الأول «الجواري» للباحث اللبناني جبور عبد النور يُقدّم دراسة تاريخية وثقافية عن الجواري كظاهرة في التاريخ الإسلامي، وقد صدرت الطبعة الأولى منه في القاهرة قبل حوالى ثلاثة أرباع القرن. ويتناول الكتاب التأثير الكبير لجواري العصر العباسي في المشرق وجواري العصر الأموي في الأندلس. أما الكتاب الثاني وهو «أشهر الجواري والمغنيات» للكاتب محمود موسى، فقد صدر قبل أكثر من ثلثي قرن، ونهل من بطون كتب التراث، تراجم حياة ثلاثين جارية ومغنية شهيرة، وأخبارهن وقصص غرامهن ومغامراتهن وحياتهن الخاصة والعامة وفنونهن.

حسين عبد البصير

يُقدّم الكاتب المصري حسين عبد البصير لِكُل القراء المهتمين بمعرفة أسرار الحياة في مصر الفرعونية كتابه الجديد «أسرار الملوك والملكات في مصر القديمة» (دار دوّن للنشر والتوزيع) الذي يحتوي على معلومات قيّمة وتفاصيل مثيرة تُروى للمرة الأولى. يحكي الكتاب قصص حياة أهم الملوك والملكات في العصر الفرعوني ومصر القديمة، ودورهم في الحياة السياسية والدينية. رتب الكاتب عبد البصير سيرة الملوك والملكات وفقاً للتسلسل الزمني لفترة وتاريخ حُكم كل واحد منهم، كما أوضح بشكل مفصل خط سير حيواتهم وكيف وصلوا إلى سُدّة الحكم وكيف كانت أوضاعهم في تلك الفترة من الزمن.

ريتا فرج

يُقدّم كتاب «النسوية الدينية: رحابة النص وسياج الواقع» (مركز المسبار للدراسات والبحوث . بإشراف وتنسيق ريتا فرج) قراءات حديثة قامت بها مجموعة من الباحثات والباحثين من العالم العربي وأوروبا والولايات المتحدة، عن حضور المرأة في الأديان الإبراهيمية، مسنودةً إلى المناهج التاريخية ودراسات الكتب المقدسة. لئن سعت هذه الدراسات إلى تظهير فاعلية النساء وتأثيرهن في صناعة المعرفة الدينية، إلا أنّها تكاملت مع دراسات أخرى ركّزت على التجربة التاريخية المنبثقة من النصوص، وما دار حولها من تفاوضٍ نسوي على المواقع والأدوار. تشتمل فصول الكتابُ على عناوين عدّة منها الشخصيات النسائية في القرآن؛ والملكة بلقيس في القرآن والسير الإسلامية وغيرهما من العناوين.

رواية

«السردية» الفلسطينية كما رواها نصار إبراهيم

زياد حميدان

يقدم الكاتب والناقد نصار إبراهيم نصه الروائي الأول بعنوان «حنظلة الراكض على حافة البحر» («دار خطوط وظلال» الأردنية) ليتوزّع على سبعة أجزاء، لكل جزء عنوان محدد، وتأتي الخاتمة بخمس عشرة وصية أسماها الكاتب «سوناتا». يحيل النص في وهلته الأولى، إلى كونه سيرة ذاتية. لكن بعد استهلال سريع، يقف القارئ أمام عمل روائي «محكم ومفكك» بأسلوب ذكي؛ يشتغل ويعيد ترتيب أولويات «السردية» الفلسطينية منذ إرهاصات تشكلها الأولى؛ وعلى لسان حماتها التاريخيين؛ بدءاً بالأمير طرباي الحارثي وصولاً إلى ظاهر العمر وانتهاءً بغسان كنفاني.
يحفر الكاتب في التاريخ الفلسطيني، بحثاً عن خطاب محدد، ليجعله ثيمة النص الأساسية، ونعني السردية الفلسطينية. يقدم الكاتب عملاً روائياً أركيولوجياً- بالمعنى الفوكوي- فيحفر في التاريخ للعثور على عبارات/ منطوقات ذلك الخطاب النادر عبر التاريخ، فهذا شأن الخطابات. يقوم الكاتب بعملية الإفصاح عن هذا الخطاب، على لسان من يحوزون شرعية قوله وبثه، ولذلك كان حنظلة والشيخ الكنعاني؛ وفي الخلفية شهداء سجن عكا والقسام وغسان كنفاني، كما استحضرت الأسطورة والأديان لحياكة النص بأسلوب بديع.
يدور فضاء النص مكانياً في وحول «جغرافيا مركزية» هي فلسطين التي تمثلها عكا، فيما يمتد عمر النص عبر آلاف السنوات منذ الإله بعل وصولاً إلى حنظلة في يومنا هذا.
تتصف الذات المتكلمة بكونها «مزدوجة» تتكون من فلسطين المؤثل وتلك المفقودة. وهي حنظلة الطفل ذي العشرة أعوام والشيخ الكنعاني؛ التي هي- ربما- ذات الكاتب؛ طفلاً ومراهقاً ورجلاً عركته السنون، مقدماً حواريات «وعيه الذاتية المحتكمة للموضوعي» - إن جاز التعبير - أو رواية الوطن بأسره، كأداة بناء وعناصر بنية للنص. تميز النص بإيقاعه «الراكض» الذي لا يثير الملل أو التشتت. رافقت الموسيقى النص دوماً؛ حتى إنّ الكاتب قد وظف «مقام الصبا» في عنوان حكايته الأخيرة، ليبوح مقام الصبا -الفريد- بمقدار تفرد النص، أو بتفرد حنظلة والشيخ - وقد يكونان ذات الكاتب أو الوطن - إلى جانب تميز مقام الصبا بحزنه منقطع النظير، ليكون الحزن لحناً وثيمة تخيم على النص.
تحشد لوحة الغلاف رموز النص، فنرى سور عكا والبحر والفدائي وحنظلة؛ إلى جانب ثلاثة أهرام ونقش غامض كأنه شيفرة النص بأسره. تغطي ثلث اللوحة المتبقي «غيمة» بقع داكنة اللون؛ تظهر وفقاً لزاوية النظر أو اليقين، فإما أن تُرى كأنها تداهم المشهد لطمسه، أو أن المشهد يدحرها كما تدحر الريح سحابة صيف.
بخلاف «حنظلة» الواقف في زاوية رسومات ناجي العلي، يركض حنظلة في النص على حافة البحر! فلم يركض؟ومن تراه يُسابق؟! وحافَةُ الشَّيءِ.. طرَفُه وجانبُه، فيقال: على حافَة الهاوية. وحافةُ البحر هنا.. أرض فلسطين! والأرض لغةً تعني: البر والبحر، وتقابلها السماء. وهكذا يجمع الكاتب البر والبحر لتكتمل فلسطين.
يورد الكاتب كلمة البئر في العديد من سياقات النص، لأن البئر منبع الحياة للفردوس الذي يدور حوله النص. وكذا يكون البئر، مكمن الأسرار والذاكرة والوعي فيكون الواهب للحياة بمائه السلسبيل، وبوعيه الكامن. هكذا يريد الكاتب أن ينشل من وعي البئر المخبوء لنرتوي منه، فكل آبار النص تمتلئ بالماء الزلال.
جعل الكاتب من البحر رمزاً أساسياً وثيمة نسبية، فالنص وحنظلة يركضان على حافته، وغسان كنفاني بحار كنعاني يبحر فيه؛ وهو باب لتسلل القراصنة. والبحر يعرف بإغرائه ومجهوليّته، يجلب الخيرات والحياة، وكذلك الخراب والموت. أما عكا التي يدور حولها جُل النص؛ فتربض على حده متحدية صامدة؛ وقيل قديماً: «لو عكا بتخاف من البحر، ما سكنت على الشط».
وكذلك، يراود حنظلة يافا عروس البحر وتقف المرأة وجيفارا على شواطئه في غزة. هكذا؛ تمتد الجنة الضائعة بين البر والبحر.
يكرر الكاتب ذِكر أشجار ونباتات فلسطين للتأكيد على خيرات الجنة المفقودة، وعلى قدسية الشجرة -والزيتونة خصوصاً- فهي تحيل في النص إلى قرية الشجرة وهي بلد حنظلة، أصل الوجود والارتباط بالأرض، تشترك في رمزيتها تلك مع رمزية المرأة، هي الجنة.
تدور حكايات النص حول سير الرجال، لترد المرأة غير معرفة، الصبية والمرأة على شواطئ البحر. تغيب المرأة ظاهرياً -على مستوى المنطوق- باستثناء ورودها في سياقات حول الرجال (أني ولميس في حكاية استشهاد غسان). يمكن القول بأنّ فلسطين والشجرة والربة عناة ومريم العذراء، كلها دلالات على قوة حضور المرأة التي تحتضن النص برجاله جميعاً.
لا يكل الكاتب من استحضار العمل الفلاحي ورموزه (المحراث والمخلاة والحراثة والقمح والحصاد) لينتهي إلى أن فلسطين؛ فضاء ريفي بامتياز، فكيف تكون جنةً إن لم تكن فضاءً ريفياً.
يكرر مدن فلسطين التي غيبتها النكبة، ويورد اسمها مرتبطاً بالأشجار، وهي عنوان المواجهة وموضوع الاستعادة. خلال تكرار أسماء مدن فلسطينية بعينها مثل عكا وحيفا ويافا وغزة، لوحظ أنّ مدينة القدس قد ذُكرت 13 مرة في النص، فيما تم ذكر مدينة عكا مثلاً 63 مرة، كأن الكاتب يريد التأكيد أن منبع التقديس يأتي من الدور، من حيث التحدي والمقاومة، أو أن القدس مسلمة لا حاجة لكثرة التأكيد عليها.
تغيب البادية من جغرافيا النص (تحتل الصحراء المساحة الأكبر من فلسطين) فيما ذكرت الصحراء خلال سياقات تغلب عليها «السلبية» مثل: الخزان وأبو الخيزران أو بكونها أرضاً خراباً، رغم أن الصحراء «مضارب ثابتة» يتحرك أبناؤها في حدودها، وقد قدمت حكايات بطولات في ذات فترة وقائع حكايات النص مثل: هبوب الريح الترابين في بئر السبع وسرحان حسين العلي من «عرب الصقر» في بيسان.
أريد للمخيم أن يكون منفياً وفضاء نفي وجودي، وأداة تحكّم وضبط ومراقبة للتخلص من الفلسطيني اللاجئ وهو في حالة «الإنسان العاري» على حد تعبير جورجيو أغامبين، فإذا بالمخيم يتحول من مقبرة ورماد شعب فلسطين، إلى العنقاء ومنبع الوعي المقاوم ومكتبة وأرشيف الرواية الفلسطينية. قام الكاتب بنفي «الآخر الغاصب»، فلا اسم له؛ ومن لا اسم له؛ لا وجود له، لعنة وفق ميثولوجيا القدماء. كما استخدم كلمة «قراصنة» -بصيغة النكرة- لوصف القادمين من البحر. وكذا كان وصفهم «بالضباع».
وظف الكاتب التاريخ والأسطورة والدين والموسيقى، إلى جانب ثيمات ورموز كالخيمة والسيف والبارودة والبرتقال والزيتون، بصورة جمالية غير تقليدية تجمع الخيالي بالحقيقي الموثق. مقدماً 15 سوناتاً، يستهل كلاً منها بكلمة «الوطن» كأنه يختتم «بياناً سياسياً» ليعيد ترسيم مفهوم الوطن؛ الذي أصبح ضبابياً أخيراً.
يقر البعض استخدام الهوامش في النصوص الأدبية، لكن كان من الأفضل؛ ألا يُضمن الكاتب أي هوامش في النص، فأقل ما يتوجب على أي قارئ لنص كهذا، هو البحث عن الإجابات بنفسه. قد يؤخذ إيغال النص في الأيديولوجيا المباشرة؛ لكننا أمام فحوى نصي تطلب هذا النمط من المُباشرة؛ كي لا يتورط في أي شكل من أشكال المواربة أبداً.

يمتد عمر النص عبر آلاف السنوات منذ الإله بعل وصولاً إلى حنظلة

جوان ديديون: تيه الإنسان المعاصر

مهند عبد العظيم

في مقالها المنشور عام 1976 في «نيويورك تايمز»، كتبت جوان ديديون (1934ـ 2021) عن روايتها «كيفما اتفق» الصادرة بترجمتها العربية (عماد العتيلي ـ «دار المدى» العراقية)، عن الصورة التي دفعتها إلى كتابة هذه الرواية: «أما في ما يتعلق بالصور: فقد كانت الصورة الأولى لمساحة بيضاء. فضاء فارغ. ولا شك في أنّها الصورة التي حددت المغزى السردي للكتاب. الكتاب الذي تجري كل أحداثه خارج الصفحة، كتاب «أبيض» يجبر القارئ على إحضار كوابيسه معه. ومع ذلك، فما زالت الصورة عاجزة عن إخباري بأية قصة أو حالة محتملة». الفصل الأول من الرواية يبدأ باستقلال البطلة ماريا وايت، التي تعمل ممثلة، سيارتها والخروج بها على طريق سريع من سان دييغو إلى فينتورا. تحكي ماريا حياتها عبر استدعاء ومضات غير واضحة منها، تفتح أبواباً كثيرة لتأويل القصة، وربطها بحالة كيت ابنتها المريضة التي تُعاني حالةً مرضية ميؤوساً منها، أو ربطها بالعلاقة المحطّمة بينها وبين زوجها كارتر، بطل الرواية الثاني، الذي يعمل مؤلف أفلام. ثمة إجبار على تأويل القصة، لأنّ ديديون هنا تحطّم أي بنية سردية قد تصل بالقارئ إلى صورة واضحة أو حتى إلى صفحة مليئة بالحبر. لعبة تطرح خلالها سؤالاً بلا بحث عن إجابة له.
في بداية الرواية، تكتب ديديون نبذة سريعة عن ماريا، ثم تعرض آراء زوجها كارتر، وصديقتها هيلين. وعلى لسان ماريا، تقول: «لماذا يُعد إياغو (شخصية روائية في مسرحية «عطيل» لشكسبير) شريراً؟ لكنني لا أتساءل أبداً. ما لم تكن مستعداً للانتظار حتى تتكشف الأسباب في المستقبل البعيد، فلن تحظى بإجابة آنية شافية لمثل تلك الأسئلة. فإنّ البحث عن الأسباب مُضن ولا معنى له». في الفصل الأول التي تستقل ماريا مركبتها للذهاب إلى الطريق السريع، تكتب ديديون على لسان راو غير معلوم الهوية: «كانت تقود مركبتها مثلما يقود البحّار مركبه.. فيكون كل يوم أكثر اعتياداً على موجات البحر وأحابيله. وكالبحار كانت تحسّ، في هدأتها ما بين النوم واليقظة بالشلالات التي تحاول اجتذابها». لا تعلم إلى نهاية الرواية من أي شيء تحديداً تهرب ماريا إلى الطريق السريع أو إلى التيه. لا تعرف اللحظة التي غيّرت ماريا وجعلتها لا تبحث عن إجابات لأي أسئلة تدور في ذهنها، عكس اللحظة التي تبدلت فيها حياة ديديون نفسها لحظة موت زوجها كما ذكرت في سيرتها الذاتية «عام التفكير السحري». تبدو ماريا طيلة العمل كبحار تائه عن مرساه، أحياناً تومض حدثاً ما ليظن القارئ أنه على مقربة من لحظة تغيّر ماريا ثم تفاجئه بأنها ليست هي اللحظة. تظل اللعبة مستمرة وتحكي ماريا حياتها خلال ومضات غير متتابعة زمنياً. عبر الومضات هذه، تحطم ديديون أي بناء متكامل للرواية. لا تجعلها رواية تدور حول بطلتها أو حتى حول راو عليم، بل شذرات ومشاهد منقطعة السياق، تثير فيك محاولة معرفة اللحظة. في لحظة ما أثناء القراءة، تجبرك ديديون على الركض وراءها في طريقها السريع هذا. تسحب قدميك لتدخل إلى التيه الخاص بماريا، لا لتبحث عنها، بل لتبحث عن لحظة تحولها إلى شخص يشعرها التمهل بخطر غريب. لذا تلجأ إلى الطرق السريعة لتهرب من هذا الخطر.
تستمر لعبة الركض وراء الومضات هذه، وتختفي نبرة الراوي العليم، أو يتغير الراوي. لا تعرف حتى النهاية من يروي حياة ماريا، تلهث وراءها ويتغير مكان الركض من الطريق السريع إلى حانات، إلى فنادق تهرب منها ماريا بحثاً عن العودة إلى الطريق السريع. لا خطوط سردية تتبعها لتصل إلى معنى، بل إنّ كل الخطوط تدفعك إلى اللهاث لتصل إلى تيه شخصية لا تبحث عن سؤال. هي تلهث وأنت تلهث خلفها غير عابئ بأي شيء تبحث عنه هي. تدفعك الرواية كلها إلى اللهاث، تقرأها وأنت تلهث، لكن تخرج منها شخصاً آخر، شخصاً راغباً في قراءة العمل مرة ثانية لتعي كل ومضة من ومضات حياة ماريا. اللهاث الذي ترغم ديديون القارئ عليه، يدفعه إلى إحضار كل كوابيس تيهه الشخصي، وربما هذا هو الأدب فعلاً أو دوره الأساسي أن تخرج من قراءة عمل وأنت لا تنتمي إلى شخصك ما قبل القراءة. كل عمل قادر على خلق مثل هذا الشعور يمثّل أدباً رفيعاً. كل عمل يجبر القارئ على اكتشاف تيهه الخاص من خلال عملية القراءة هو عزاء للقارئ ونجاح لكاتبه أو كاتبته. يرى تيرى إيغلتون في كتاب «نظرية الأدب» إنّ الأدب عزاء وأرضية مألوفة بالنسبة إلى الإنكليز لسبر كابوس التاريخ بعد الحرب العالمية. ولو حذفت كلمة الإنكليز من الجملة، لن تختل، أو تصبح منقوصة، بل ستظهر دور الأدب بأنه عزاء للإنسان، وخالق للمعنى في حياة بلا أي معان. حياة تشبه حياة ماريا. حياة إنسان على طريق سريع، لا يهرب مثل ماريا من فجيعة حياته، بل يهرب إلى الطريق السريع مجبراً بسبب ما فرضته الحداثة عليه من أساليب تجعله يركض دائماً.

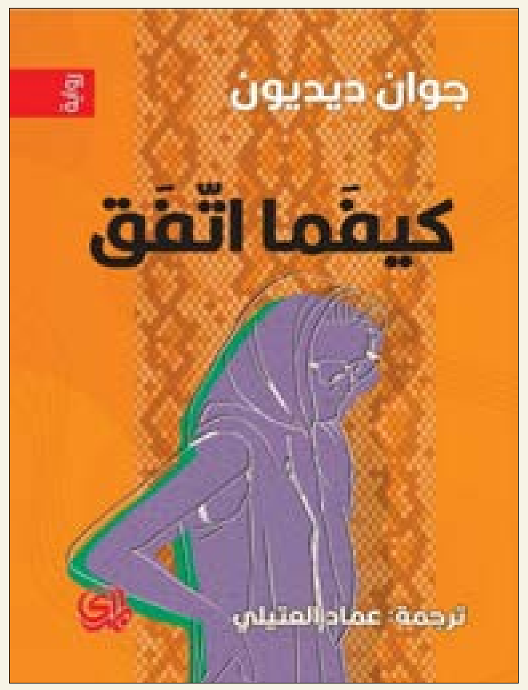

لا خطوط سردية تتبعها لتصل إلى معنى

أوراق

حول الأصلي لحرف الراء السامي

زكريا محمد *

يُسمّى حرف الراء في العبرية «ريش» reš، وفي الحبشية الجعزية «رئيس» re'es وفي العربية «راء». وهناك ما يشبه الإجماع تقريباً على أنّ الأصل التصويري (الأكروفوني) له هو الرأس البشري. بذا فهو من الحروف التي يكشف اسمها عن أصلها التصويري ببساطة ووضوح عند الغالبية الساحقة.

لكنّ المشكلة تكمن في الاسم اليوناني للحرف: «رهو» rho. وهي صيغة غريبة ومبهمة. ولا يُعرف معنى هذا الاسم، ولا من أين أتى. لكن من الواضح أنها ليست لها علاقة بالرأس البشري. أي أنها ليست تحريفاً لكلمة «ريش، رئيس، راس». وفي اعتقادي، فإنه من دون حلّ لغز الاسم اليوناني لحرف الراء، فإننا لن نتوصل إلى فهم أصيل لقصة اسم هذا الحرف وتاريخها. بذا فسوف يكون تركيز هذه المادة على الاسم اليوناني خاصة، أي على الشاذ أساساً.

وفي البدء، لا من تقديم ملاحظة أساسية على الأشكال الأقدم لحرف الراء. وهي ملاحظة قد تكون مدخلنا لحل اللغز. هذه الملاحظة تشير إلى انقسام هذه الأشكال إلى قسمين:

الأول: تكون العين فيه ظاهرة في الوجه، أو أنها تكون أحياناً على شكل نقطة تمثل العين، أو البؤبؤ ربما. وفي هذا القسم، يكون شكل الرأس فيه واضحاً بشكل كبير، كما في الصورتين أدناه لنقش لوح تل بلاطة من فلسطين (إلى اليمين) من القرن السابع عشر أو السادس عشر ق. م، ونقش خنجر لكيش من فلسطين أيضاً ويعود للقرن السادس عشر ق.م.

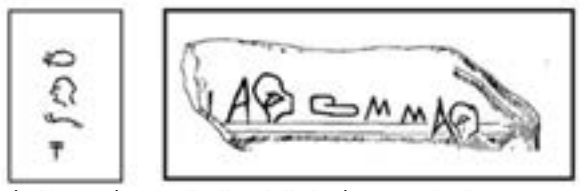

إلى اليمين: نقش تل بلاطة. وإلى اليسار نقش خنجر لكيش. لاحظ العين الواضحة لحرف الراء الذي يتمثل برأس بشري فيهما

الثاني: لا تكون فيه عين، ولا يكون شكل الرأس البشري المفترض فيه واضحاً تماماً، كما في الصورة أدناه للحرف في عدد من النقوش السينائية.

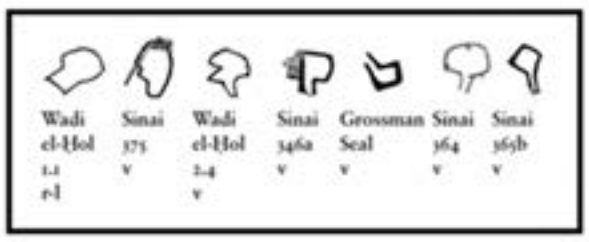

حرف الراء في عدد من النقوش السينائية من هاملتون

واعتقادي أن هذا الاختلاف حاسم في محاولتنا للتعرف إلى الأصل التصويري لهذا الحرف، وعلى فهم أسمائه المختلفة. فمن الصعب مثلاً اعتبار الأشكال الأربعة في الصورة أدناه تمثيلاً لرأس بشري.

كذلك من الصعب قبول فكرة أنّ الراءات الثلاث في نقش وادي الهول أدناه من القرن التاسع عشر ق.م في مصر تمثيل للرأس البشري في غياب العين أو البؤبؤ.

بناءً عليه، أقدم هذين الفرضين:

راءات نقش وادي الهول بلا اعين

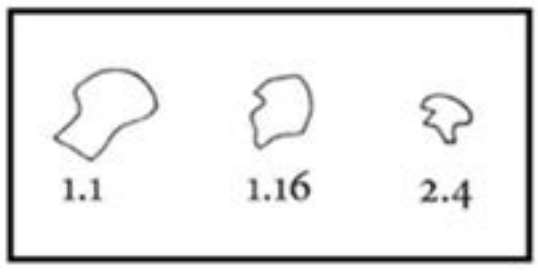

أولاً: أنّ الأشكال التي تكون فيها عين هي تمثيل للرأس البشري فعلاً، في حين أن التي ليس فيها عين، ولا تميل إلى أن تشبه الرأس البشري كثيراً، هي تمثيل تميل إلى شيء يسمى «رهو» احتفظت لنا اليونانية باسمه.

الثاني: أن هذه الكلمة استعارتها اليونانية من لغة أخرى. دليل ذلك أن كلمة «رهو» لا تعني شيئاً في اللغة اليونانية.

الرهو

لا توجد، حسب علمي، جدالات كافية بشأن أصل كلمة «رهو». ويمكن القول بأنّ الكلمة تجوهلت لأنها غامضة وصعبة. لذا أود أن أقترح أنها على علاقة بالجزيرة العربية. وإذا استطعنا إثبات ذلك، فإنه سيسهل لنا فتح الطريق نحو حل مسألة العلاقة بين الأبجدية اليونانية، وأبجديات الجزيرة العربية، وعلى الأخص الأبجدية الجنوبية في اليمن. فقد لاحظ باحثون كثيرون تشابهاً جدياً بين الأبجدية اليمنية وبين الأبجدية اليونانية. هذا التشابه أدى إلى فرضية تقول بأن الأبجدية اليمنية مشتقة من الأبجدية اليونانية، ومستعارة منها. وهذه فرضية غريبة في نظري. وهي مشتقة من فرضية أخرى تتبعها الغالبية، وتقول إن الأبجديات السامية الشمالية (الفينيقية والآرامية) أقدم من الأبجديات الجنوبية، أي أبجديات الجزيرة العربية، وإن الأخيرة بالتالي مشتقة منها.

ولو نجحنا في إثبات أن الاسم «رهو» rho قادم من الجزيرة العربية، فإن هذا سيشكّل ضربة قوية لهذه الفرضية، إذ كيف تكون الأبجدية اليمنية مستعارة من اليونانية في حين أن بعض أسماء الحروف اليونانية مستعارة من الجزيرة العربية؟ فوق ذلك، فإن إثبات الأصل العربي للاسم «رهو» سيدفع إلى فرضية أخرى معاكسة تقول إن الأبجدية اليونانية هي التي اشتُقت من الأبجدية اليمنية لا العكس، أي أنّ الأمور ستنقلب على عقب.

أما فرضيتي، فتقول إنّ «رهو» اليونانية هي الصيغة المذكر لكلمة «الرهوة»، في العربية. والرهوة هي الرابية الصغيرة حسب القواميس العربية: «الرهوة: الرابية تضرب إلى اللين وطولها في السماء ذراعان أو ثلاث، ولا يكون إلا في سهول الأرض وجلدها ما كان طيناً ولا تكون في الجبال، والجمع رهاء». يضيف المصدر ذاته: «الرهوة: شبه تل صغير يكون في متون الأرض وعلى رؤوس الجبال، وهي مواقع الصقور والعقبان» (الزبيدي، تاج العروس). ويزيد الصاحب: «تل صغير في متن من الأرض أو على جبل» (الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة).

إذن، فالرهوة تلة صغيرة، ارتفاعها عدة أذرع، تكون في أرض مستوية غالبة، أو في رؤوس الجبال أحياناً في ما يبدو. ولم يعد اسم هذا التضريس مستعملاً الآن. لكن يبدو أنه هو ذاته الذي صار يسمى «الموائد الصخرية» في هذه الأيام. وتتكون الموائد الصخرية من صخرة شبه مستديرة من الأعلى، ولها عنق رفيع نحتته الرياح وعوامل التعرية الأخرى وحتّته. وهي بذلك تشبه فطراً ضخماً في شكلها. وهي شائعة الوجود في الجزيرة العربية. وإليك أدناه نماذج منها.

مائدة شرق شرف العلا

مائدة جبل تذرع شمال حرة عويرض

مائدة ام رقيبة شرق مركز ابو راكة

ولدينا نموذج من الرهوات التي تكون في بعض الأحيان في قمة جبل. وهو مصداق لما نقله الزبيدي: «الرهوة شبه تل صغير يكون في متون الأرض وعلى رؤوس الجبال». لكن وجودها في قمم الجبال نادر في ما يبدو كما نقل الزبيدي عن مصدر آخر: «ولا تكون في الجبال».

مائدة جبال كبد جنوب شرق محافظة تيماء

وأخيرا خذ هذا النموذج من الجوف اليمني.

ونظرة واحدة إلى صور حرف الراء التي بلا أعين تكفي لكي يقتنع المرء بالشبه الكبير بينها وبين الموائد الصخرية.

فهناك قمة تشبه الرأس، لكن من دون تفاصيل محددة لهذا الرأس مرفوعة على عنق نحيل. والعنق الطويل نسبياً حاسم هنا. لذا سميت واحدة من الموائد التي عرضناها باسم «أم رقيبة»، أي ذات الرقبة. عليه، فلا يتعلق الأمر بتلة كما تقول القواميس العربية، بل تتعلق بصخرة كبيرة نحتتها الطبيعة بحيث تبدو مثل الفطر.

انطلاقاً من هذا، يمكن الحكم بأنه كانت لدينا صورتان أصليتان لحرف الراء: واحدة تمثل رأساً بشرياً، وثانية تمثل رهوة، أو رهواً بالتذكير. أما أيّ مِن هاتين الصورتين هي الأقدم، فلا يمكن الحديث بجزم. لكن بما أن نقش وادي الهول هو أقدم نقوش الأبجدية التي عثرنا عليها حتى الآن- وهو يعود إلى فترة تقع ما بين القرن التاسع عشر والعشرين قبل الميلاد- وبما أن حرف الراء فيه أقرب إلى الرهو منه إلى الرأس البشري، فإنه يمكن افتراض أن الرهو هو الاسم الأقدم لحرف الراء.

راء وادي الهول

وإذا صح هذا، يكون الاسم اليوناني «رهو» المستعار من لغات الجزيرة العربية هو الاسم الأقدم من أسماء حرف الراء كلها. أي أنه أقدم من الاسم العبري والحبشي. كما نستطيع أن نفترض أنه كان اسم حرف الراء وقتما كتب نقش وادي الهول. وانطلاقاً من هذا، يمكن افتراض أنه جرى لاحقاً اتخاذ صورة أخرى لتمثيل حرف الراء هي الرأس البشري كبديل عن الرهو المرتبط بالبيئة الصحراوية الجبلية. وهذا نابع في ما نفترض من أن الاسم «رهو» صار في ما يبدو غير مفهوم بالنسبة للناس التي لا تعيش في مناطق صحراوية. وفهم أسماء الحروف، وربطها بأشكالها المحددة، كانا في البدء مسألة أساسية حاسمة في الكتابة الأبجدية. وإن صح هذا، فإن وجود أعين في صورة الحرف يشير إلى أننا مع صورة متأخرة كثيراً عن بدايات الأبجدية. وهكذا صرنا مع صورة لحرف الراء تمثل الرأس البشري، واسم يعكس هذه الصورة. لكن اليونانية عاندت ولم تغير، واحتفظت لنا بالاسم الأقدم للحرف، والمستعار من الجزيرة العربية. وهي بذلك فتحت لنا الباب لحل مسألة العلاقة بين الأبجدية العربية الجنوبية وبين الأبجدية اليونانية.

* شاعر وباحث فلسطيني

Samedi 24 Septembre 2022 no35
السبت 24 أيلول 2022 العدد 35

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

الإهمال الطبي المتعمّد في سجون الاحتلال الإسرائيلي
القاتل الصامت

[2-3]

مبنى سجن عوفر (من الويب)

«العمارة الجنائية»
التصوير المساحي
4

تعليق تطبيق القوانين في الحمرا ليلاً
5

ضوابط قانونية للمدارس الخاصة
6

من يملأ الفراغ؟
7

القضية المركزية

يُحرم الأسرى الفلسطينيون في السجون الاسرائيلية من ادنى شروط العناية الطبية في انتهاك للمواثيق الدولية وحقوق الإنسان. وتفاقم الظروف القاسية داخل السجون ومعاناة المرضى، كما تؤدي إلى انتشار الاوبئة والامراض بسبب عدم توفر بيئة صحية ومناسبة للعيش الآدمي. إذ ان السجون قديمة، مكتظة، قذرة، ولا تتفق مع المعايير الدولية لجهة مساحتها وبنائها العمراني، وتنتشر فيها الحشرات والقوارض، فيما تتنصّل إدارات السجون من التزاماتها إزاء الاحتياجات الاساسية للاسرى.

وكالعادة، تدين الأمم المتحدة والهيئات الدولية الاخرى إساءة معاملة «إسرائيل» المنهجية للسجناء الفلسطينيين باعتبارها انتهاكًا صارخًا للقانون الدولي. إلا ان هذا الوضع لم يُترجم حتى الآن اية خطوات دولية واسعة النطاق للتحرك

الإهمال الطبي المتعمّد في سجون الاحتلال الإسرائيلي

القاتل الصامت

■ هلال سلّوم

انتهاكات «إسرائيل» للحقوق الأساسية للأسرى الفلسطينيين، بما في ذلك التعذيب والقمع والاعتداء وتقليص حصص الغذاء، لطالما كانت تحت الأضواء. وتضاف إليها جريمة الإهمال الطبي الممنهج لنحو 600 مريض فلسطيني في سجون الاحتلال وحرمانهم من العلاج الطبي المناسب، ومن بين هؤلاء 200 على الأقل يعانون من أمراض مزمنة و23 مصابون بالسرطان وأورام خبيثة. المماطلة في تقديم العلاج والإهمال الطبيّ المتعمّد والمعاملة اللا إنسانية تُعدّ كلها انتهاكاً جسيماً للمواثيق الدولية وحقوق الإنسان. ولا تقتصر انعكاساتها السلبية على من يقبعون داخل السجون فقط، بل تطال الأسرى المحررين الذين سقط كثير منهم شهداء بعد تحررهم (73 أسيراً محرراً قضوا منذ عام 1967) بسبب الإهمال الطبي والتعذيب اللذين تعرضوا لهما أثناء الاعتقال. وقد ارتفع عدد شهداء الحركة الأسيرة، الأسبوع الماضي، إلى 231 باستشهاد الأسير موسى أبو محاميد بسبب الإهمال الطبي، فيما يحتضر الأسير المريض بالسرطان ناصر أبو حميد الذي ترفض سلطات الاحتلال الإفراج عنه.

علاج «بخز ما بينفع»

«السجون الإسرائيلية تحوّلت مستشفيات كبيرة تضم مئات المرضى من دون علاج أو أدنى مقومات حياة»، هكذا يصف الأسير المحرر مالك القاضي الواقع الصحي للأسرى في سجون الاحتلال. ويضيف: «الأسير، منذ البداية، معرض للقتل بسبب الضرب المبرح والتعذيب أثناء التحقيق. أما داخل السجون فكل الظروف مهياة لقتله بشكل كامل أو الإجهاز على أعضائه الداخلية من خلال الرطوبة التي تنخر عظام الأسرى أو أجهزة التشويش المركّبة في كل غرفة مع ما تبثه من إشعاعات خطيرة أو وحدات القمع». ومع تدهور صحة الأسير، فإن أقصى ما يمكن أن يتلقاه من علاج هو فحص دم عادي CBC، يجريه أحد الجنود السجانين. ويغضّ النظر عن خطورة حاله الصحية، يتم نقله إلى المرحلة الثانية من عملية التصفية الطبية داخل السجن. ويوضح القاضي أن هذه المرحلة «ترتكز على مد الأسير بأنواع من الأدوية المجهولة المصدر والفائدة والضرر، إما عن طريق الوخز بالإبر أو الحبوب لفترات طويلة. وأمام عملية العلاج العشوائية، هذه لا يملك الأسير خيار العلاج من عدمه».

> أساليب العلاج وسوء الظروف الصحية وطبيعة المبنى والتجهيزات، كلها توظف لكسر الأسير معنوياً ونفسياً

كفن متحرك

تُستكمل فصول المعاناة، خلال عملية نقل الأسير من السجن إلى المستشفى عبر «البوسطة» التي تحولت إلى وسيلة انتقام، يستغلها الاحتلال للتمادي في إجرامه واعتدائه الوحشي على الأسرى المرضى والجرحى، لا سيما عبر قوات القمع الاجرامية «نحشون». يصف الأسير المحرر عملية النقل هذه بـ«الكفن المتحرك»، حيث «يكون الأسير مقيّد اليدين والقدمين، جالساً على حديد شديد البرودة لمسافات طويلة». ويتعمد الاحتلال تنفيذ عملية النقل يوم الخميس، فيكون الأسير مضطراً لأن يقبع في «المعبار» ايام الخميس والجمعة والسبت، يتعرض خلالها للضرب المبرح من عناصر وحدة «نحشون».

وتشكل هذه «المماطلة» خلال عملية نقل الاسير وإطالة مدة انتظاره في «المعبار» (أقسام مؤقتة خُصصت لاحتجاز الأسرى لفترة معينة قبل نقلهم إلى المحاكم أو الى سجن آخر أو إلى المستشفى) خطراً على حياة الأسرى، كما جرى مع الشهيد سامي العمور الذي قضى اثناء نقله إلى المستشفى بعدما أصيب بوعكة صحية، وتم احتجازه في معبار بئر السبع - «إيشل» لـ14 ساعة متواصلة، ما أدى إلى استشهاده قبل وصوله إلى المستشفى.

«مسلخ الرملة»

حتى حزيران 2022، بلغ عدد الأسرى المحتجزين داخل «عيادة سجن الرملة» 18 وفق هيئة شؤون الأسرى والمحررين. ويقبع في «عيادة سجن الرملة» بين 14 و16 أسيراً بشكل دائم، يعانون من ظروف صحية ومعيشية قاسية، بينهم مصابون بجروح نارية، وآخرون يعانون من أمراض مزمنة وأورام خبيثة واعاقات جسدية.

يتألف هذا السجن المحاط بسور عالٍ من أربع غرف تضم أسرّة حديدية أو اسمنتية. ويقيم مع الأسرى المرضى بشكل دائم أسير أو اثنان لمساعدة الأسرى المرضى على الحركة وتقديم العلاج الأولي والإسعافات الأولية. وتفتقر «العيادة» إلى الكادر الطبي وأطباء متخصصين. وفي كثير من الأحيان يُنقل الأسرى المرضى، بعد مماطلة طويلة، الى مستشفيات مدنية لإجراء الفحوصات أو للمعاينة.

يفتقر «مسلخ الرملة»، كما يطلق عليه الأسرى، إلى الحد الأدنى من مقومات الحياة الإنسانية. فالسجن قديم وغير مهيأ لاستقبال الأسرى المقعدين من حيث مكان الفورة (ساحة السجن) والحمامات، كما لا يوجد مطبخ لطهي الطعام داخل الغرف. وهو يفتقر إلى المعدات والأجهزة الحديثة، فأجهزة الغسيل الكلوي قديمة جداً، وتقتصر المعدّات على الشاش والمعقمات، أما الدواء فواحد: مسكّنات لكل الأمراض حتى السرطان. ومن بين الأسرى الذين احتجزوا فيه لسنوات واستشهدوا، بسام السايح، سامي أبو دياك، كمال أبو وعر، وغيرهم ممن عانوا من السرطان لسنوات، لذا يعدّ سجن الرملة بالنسبة لكثير من الأسرى المحطة الأخيرة قبل الاستشهاد.

يشير الأسير المحرر مالك القاضي الذي خاض إضراباً عن الطعام استمر 74 يوماً عام 2016 رفضاً لاعتقاله الإداري، ونقل في اليوم الـ54 إلى عيادة سجن الرملة، إلى أن هذا السجن هو بمثابة «المستشفى المركزي» لكل سجون الاحتلال نظراً لانخفاض كلفته. ويلفت إلى أنه مع غياب المساءلة والرقابة، يجد الاحتلال في القتل العمد عبر الإهمال الطبي طريقة أسهل للتخلص من الفلسطينيين. ويستطرد: «الجميع هناك سجانون من عتاة المستوطنين، فالكادر الطبي وأساليب العلاج الثالثة في نصف انحاء جسدها، وفقدت نتيجة هذه الإصابة 8 من أصابع يديها، ورغم ذلك لا يُقدّم لها سوى المسكنات، وتمتنع إدارة السجن عن توفير الرعاية الصحية المناسبة لحالة الأسيرة، ذلك بالإضافة الى حرمانها من عمليات جراحية لإعادة فصل الأطراف الملتصقة ببعضها البعض، ومعالجة ما تبقى من أصابع اليدين، الأمر الذي يفاقم حالتها الصحية. كما رفضت مصلحة السجون "الإسرائيلية" في السابع من حزيران من العام الجاري، تمويل عملية الأنف لإسراء بحجة أن "العملية تجميلية وغير ضرورية لصحتها". وتعتبر الأسيرة سعدية فرج الله (68 عاماً)، شاهدة اخرى على سياسة الإعدام والقتل الطبي، فرغم ما ظهر على فرج الله من تدهور صحي بالإضافة إلى المشاكل الصحية التي كانت تعاني منها سابقاً، فقد نقلت لعيادة السجن ثم لأحد مشافي الاحتلال، وأعيدت بعد حوالي الأربع ساعات إلى القسم حيث أكدت إدارة السجن أن جميع نتائج الفحوصات التي أجريت لها كانت سليمة، ولم يجدوا أي «شيء مخيف»، نافين حصول اية جلطة دماغية وبالتالي لم تتلقَ أي علاج، لتستشهد على إثرها بعد عدة أيام في الثاني من تموز من العام الجاري.

> مع غياب المساءلة والرقابة يجد الاحتلال ان القتل العمد عبر الإهمال الطبي طريقة أسهل لقتل الفلسطينيين

كما تشمل سياسة الإهمال الطبي المتعمد الأسيرات الحوامل اللواتي يعانين سوء التغذية والرعاية الصحية، ويشملهنّ التعذيب الوحشي وأبرز مثال على ذلك الأسيرات زكية شموط، فاطمة الزق والأسيرة منال غانم التي فقدت إحدى جنينيها إثر التعذيب. فغرف اعتقال الأسيرات تفتقر إلى الحد الأدنى من البيئة الصحية، فلا نور شمس ولا تهوئة ولا تغذية مناسبة، ولا عناية طبية للوالدة أو الجنين. ولا تتحسن هذه الظروف مع اقتراب موعد المخاض، فالأسيرة تترك في الام المخاض لساعات قبل أن تُنقل للمستشفى مكبلة الأيدي والأرجل وتبقى كذلك حتى لحظة الولادة. ولا تنتهي هذه الظروف بانتهاء عملية الولادة، بل تمتد إلى ما بعد ذلك، حيث يعاد تقييدها بالسلاسل لتنقل وطفلها إلى سجنها.

(أ ف ب)

«المعبار»

عند نقل الأسرى من السجون والمعتقلات إلى قسم «المعبار» في الرملة، يحتجزون هناك لساعات طويلة داخل أقفاص ضيقة المساحة، قذرة، مكتظة، باردة جداً في فصل الشتاء وحارة في الصيف. لا يتسع قسم المعبار سوى لثمانية أشخاص، لكن إدارة المعتقل تتعمد زجّ أكثر من 20 أسيراً في تلك المساحة المحدودة، من دون مراعاة للأسرى المرضى وكبار السن، ما يُجبر الأسرى على «المناوبة» بالوقوف والجلوس وفقاً للمساحة المتوفرة.

(أ ف ب)

«نحشون»

تعتبر وحدة «نحشون» من أعنف الوحدات العسكرية «الإسرائيلية» وأكبرها، إذ تضم عسكريين ذوي أجسام قوية وخبرات وكفاءات عالية جداً، سبق لهم أن خدموا في وحدات حربية مختلفة في جيش الاحتلال «الإسرائيلي»، ويمتلك أعضاؤها مهارات قتالية تقنية من بينها استخدام الأسلحة والمعدات المختلفة، إلى جانب القدرات القتالية البدنية اللازمة للمواجهة والاصطدام المباشر وقمع الأسرى، وسبق لهذه الوحدة أن تسببت في مقتل عدة أسرى، ومنهم الأسيران رائد الجعبري ومحمد الأشقر.

انتهاك «جنيف الرابعة»

يمعن الاحتلال في انتهاك حقوق الأسرى المكفولة بموجب الاتفاقيات والمواثيق الدولية في ما يتعلق بحق المعتقلين بتلقي العلاج اللازم والرعاية الطبية، حيث كفلت اتفاقية جنيف الرابعة في المواد (76) و(85) و(91) و(92) حق الأسرى بتلقي الرعاية الطبية الدورية، وتقديم العلاج اللازم لهم من الأمراض التي يعانون منها، وتنص على وجوب توفير عيادات صحية وأطباء متخصصين لمعاينة الأسرى.

المختبر الجنائي

تلعب «العمارة الجنائية» دوراً مهماً خلال التحقيقات العلمية. ففي لبنان يمكن ان يساعد هذا الحقل الجنائي في حل العديد من الجرائم والقضايا، لا سيما في حوادث الرصاص الطائش، إذ يساعد هذا التحليل العلمي الدقيق في تحديد مسار الطلقة ومسافة ومدى إطلاق النار، وموقع وارتفاع مطلق النار. كما يمكن استخدام هذا التحليل الجنائي خلال التحقيقات في غرق «مركب الموت» في طرابلس، لتقديم نماذج رقمية ثلاثية الابعاد للمركب وخفارة الجيش في البحر وتحديد منطقة المد والجزر. كما يمكن استخدام هذا التحقيق الجنائي في جرائم الانتحار المشبوهة او المفبركة، فيدرس مدى تطابق الادلة في مسرح الجريمة وعلاقتها المتبادلة مع إفادات المشتبه به والضحية والشهود

التصوير المساحي «العمارة الجنائية»

■ جنان الخطيب

يستخدم «التصوير المساحي الجنائي Forensic Architecture» تقنيات معمارية لإعادة بناء مسرح الجريمة وتحديد تسلسل الأحداث، حيث يتم جمع صور ومقاطع فيديو من شبكات التواصل الاجتماعي والوسائل الإعلامية وغيرها من المصادر الإلكترونية، ليتم تحليلها ضمن نموذج ثلاثي الأبعاد، بالإضافة إلى مجموعة متنوعة من أدلة الاستشعار عن بعد.

يضم هذا التحقيق الجنائي المتعدد التخصصات محققين، مهندسين معماريين، علماء، صانعي الأفلام، مطوري البرامج، علماء الآثار والجغرافيا والجيولوجيا وعلم الزلازل والغابات وغيرهم.

يبدأ التحقيق من خلال إجراء بحث من مجموعة من المصادر، بما في ذلك: زيارات الموقع مسح الليدار LIDAR، هو اختصار لـ "كشف الضوء وتحديد المدى" وهو عبارة عن طريقة لتحديد النطاقات باستخدام الليزر وقياس وقت عودة الضوء المنعكس إلى جهاز الاستقبال.

المسح التصويري، وهو تكنولوجيا عالية الدقة تسمح بالحصول على معلومات موثوقة حول الأشياء المادية من خلال عملية تسجيل وقياس وتفسير الصور الفوتوغرافية وأنماط الصور المشعة الكهرومغناطيسية.

رادار مخترق للأرض ground-penetrating radar، وهو طريقة جيوفيزيائية تستخدم نبضات الرادار لتصوير باطن الأرض. بالإضافة إلى استخدام النماذج الرقمية لتحديد موقع المواد المصدر ومزامنتها في المكان والزمان.

أخيراً صدر وثائقي عن قناة الجزيرة متابعة للتحقيقات في جريمة اغتيال الصحافية شيرين أبو عاقلة، حيث قام الخبراء بتحليل ومزامنة جميع اللقطات المتاحة لمسرح الجريمة، من أجل إنشاء جدول زمني دقيق للحادث وتحديد مصدر الرصاصات التي تم إطلاقها على أبو عاقلة. خلال التحقيقات قام الخبراء باستخدام «العمارة الجنائية» لإعادة بناء رقمية دقيقة للحادث، باستخدام التحليل المكاني والصوتي المتقدم، وبتتبع موقع وتحركات مختلف الفاعلين الرئيسيين في جميع أنحاء مسرح الجريمة - الصحافيين والمدنيين والمركبات العسكرية.

> خلال التحقيقات قام الخبراء باستخدام «العمارة الجنائية» لإعادة بناء رقمية دقيقة للحادث

للاطلاع على المرجع

مسار الطلقات

من خلال إعادة بناء مواقع الصحافي علي وشيرين بالضبط عندما تم إطلاق النار على كل منهما ونقاط تأثير الرصاص الدقيق، ونمذجة موقع أربع نقاط تأثير أخرى على شجرة في موقع الحادث، تمكن الخبراء من تتبع مسار ستّ من بين 16 رصاصة أطلقت خلال الحادث.

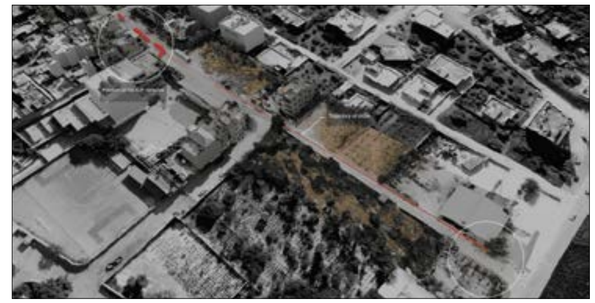

إعادة البناء المكاني

تم مسح شامل واحترافي للموقع والتصوير الأرضي لكامل طول الطريق، ما سمح بإنشاء نموذج تصويري ثلاثي الأبعاد دقيق للغاية للمشهد. ومن خلال تحديد الموقع الجغرافي للإطارات الفردية من مقاطع الفيديو، تم إنشاء وإعادة بناء في النموذج الرقمي المواقع الدقيقة لشيرين والصحافيين الآخرين طوال الحادث، بالإضافة إلى موقع المركبات العسكرية بالنسبة إليهم. على وجه الخصوص، تم تحديد السيارة التي تم إطلاق النار منها والموقع الدقيق لمطلق النار وثقب القناصة بداخلها.

التحليل الصوتي

سمح التحليل الصوتي لمقاطع الفيديو التي التقطت الحادث بمقارنة التوقيعات الصوتية لجميع اللقطات التي تم إطلاقها أثناء الحادث وسابقه وتعقبها إلى موقع رماة قوات الاحتلال الإسرائيلي. في الدقيقتين اللتين سبقت بدء إطلاق النار، لم يتم إطلاق أعيرة نارية على الإطلاق. لم تأت أي طلقات أخرى في أي من اللقطات التي تم تحليلها من جوار الصحافيين.

والمقارنة الصوتية بين الطلقات من بندقية آلية قياسية مع الطلقات السبع المسموعة في الجولة الثانية من إطلاق النار والتي قُتلت خلالها شيرين، توضح أن مطلق النار سحب وأطلق الزناد في سبع مناسبات مميزة خلال ثانيتين - ما يشير إلى النية الواضحة مع كل طلقة.

مقارنة صوتية بين الطلقات من بندقية آلية قياسية (أعلاه) مع الطلقات السبع المسموعة في الجولة الثانية من إطلاق النار، والتي قُتلت خلالها شيرين (أدناه). (العمارة الجنائية والحق ، 2022)

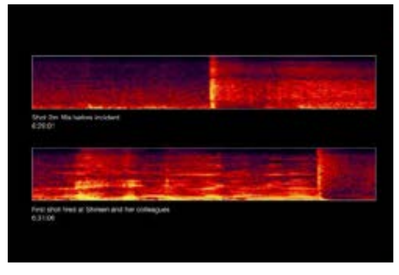

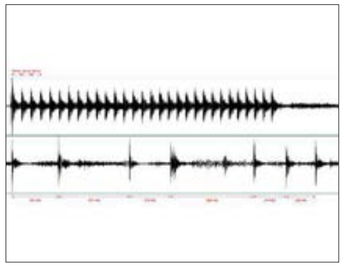

في العمق

تعليق تطبيق القوانين في الحمرا ليلاً

يتحوّل شارع الحمرا ليلاً إلى مكان غريب تتكاثر فيه وجوه غريبة واعمال مشبوهة ومظاهر خبيثة. فمع حلول الظلام يزدهر نشاط الساعين إلى جمع المال بطرق مخالفة للقانون والاصول والأخلاق العامة. ومع انهيار قيمة الليرة اللبنانية اصبحت "كلفة الدعارة" رخيصة وتكاثر الوافدين إلى الحمرا من بعض الدول العربية بحثاً عن الجنس المدفوع لإشباع غرائزهم الذكورية. فالحمرا بعد الساعة السابعة تبدو مركزاً للسياحة الجنسية خارج القانون. اما قوى الامن الداخلي التي تعاني من نقص حاد في العديد والتجهيز والرواتب فيبدو انها غير قادرة على السيطرة والملاحقة والمتابعة ويقتصر تحركها على الاستجابة الخجولة للشكاوى التي تصلها

(من الويب)

■ احمد مدلج

مع غروب الشمس يلبس شارع الحمرا ثوباً آخر لا يشبه ذاك الذي طالما عُرف به. تغيب الألوان كلياً عن «شانزيليه» بيروت الستينيات والسبعينيات ليغرق، مع متفرعاته، في ظلام دامس. دور السينما والمسارح ومقاهي المثقفين غادرت الشارع منذ وقت طويل قبل الأزمة، مع روادها الذين تركوها لرواد من نوع آخر: متسوّلات وبائعات ورود... وبائعات هوى معظمهن دون السن القانوني يزرعن أرصفة الشارع جيئة وذهاباً.

«موسم سياحة يا عمي»، يجيب نادل في أحد مقاهي الشارع مبتسماً، مشيراً إلى مجموعات من الشبان يتسكعون في الشارع. «أول سؤال بيكون: وين النسوان؟»، يقول، لافتاً إلى أن الشارع شهد هذا العام إقبالاً كبيراً من سياح عرب، خصوصاً بعدما وفّر لهم هبوط سعر صرف الليرة قدرة شرائية أكبر بدولارات أقل، وشعوراً بأن في إمكانهم، حرفياً، شراء «أي شيء». هذا ما تشير إليه إحدى الفتيات القاصرات ممن يبعن الورود، مؤكدة انها ضحية تحرش جنسي «يومياً». إذ إن «رجال كتار بيمسكوني وبحطوا إيدهم على جسمي. أوقات بهرب، وأوقات بخليه ليعطيني مصاري مشان أقدر إرجع فوت على البيت».

وتشير إلى أن كثيرين يعرضون عليها المال مقابل «خدمات» جنسية، «بس بخاف. ما بعرف لوين بياخذوني وشو بيعملوا فيي. في كتير من رفقاتي هون بروحوا معهم على الأوتيل ويبرجعوا مدبّغين».

ظروف صعبة ومعاملة اسوأ

سوريات نزحن هرباً من الحرب ولبنانيات دفعتهن الأزمة إلى «النزول إلى الشارع». «صياح» التي نزحت إلى لبنان بحثاً عن عمل قادها «الضغط والتهديد» إلى ممارسة الدعارة. «الظروف لعبت دوراً، ومن مشكلة لمشكلة ثانية بتلاقي حالك علقت. من ميلة وجودنا هون غير قانوني وما فيك تشتكي، ومن ميلة تانية بدنا مصاري لنبعت لأهلنا»، ناهيك عن «الضرب من قبل المشغّل او من الزبون يلي ما بينحكى معه لأن بعلمونا إنو الزبون دائماً على حق ولو آذانا». إذ يبدو أن بعض "الزبائن" لديهم اضطرابات نفسية وعقد جنسية تدفعهم إلى التعنيف والإيذاء.

وبما أن قانون العقوبات يعاقب من يمارس الدعارة، هل من العدل والإنصاف ملاحقة نساء تدفعهن ظروف صعبة إلى بيع أجسادهن لإعالة طفل أو توفير دواء لمريض؟ وفي المقابل، ألا يمكن لقوى إنفاذ القانون التحرك لدى الارتياب في وجود شبهة تجارة بالأشخاص وتسهيل الدعارة؟

«ما فينا نتحرك بلا شكوى» يقول أحد الضباط لـ«القبس». فرغم وضوح المشهد في شارع الحمرا، لا دليل لدى القوى الأمنية على نية لارتكاب فعل الدعارة أو الإتجار بالأشخاص. إذ تتحرك الضابطة العدلية بناء على شكوى مقدمة من قبل أفراد أو لدى وقوع جريمة مشهودة، أو عند وجود إشارة من قبل القضاء والنيابة العامة. علماً بأن ما يزيد المشكلة اليوم هو الاعتكاف القضائي المستمر واكتظاظ السجون.

بين الدعارة والاغتصاب والإتجار بالاشخاص

يعاقب قانون العقوبات اللبناني كل من مارس الدعارة ومن مارس مهنة تسهيلها واعتمد لكسب معيشته على دعارة الغير. فالفاعل للأجور (مادة 524 من قانون العقوبات اللبناني). اما عقوبة من سهّل ممارسة الدعارة فتختلف عن عقوبة من اعتمدها كمهنة في كسب معيشته. إذ يعاقب بالحبس من شهر إلى سنة وبالغرامة من 20,000 ل.ل. إلى 200,000 ل.ل. كل من سهّل ممارسة الدعارة (مادة 526 من قانون العقوبات اللبناني). اما من اعتمدها كمهنة لكسب معيشته فيعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى سنتين، وبغرامة تُراوح بين الحد الأدنى للأجور وضعفه (مادة 527 من قانون العقوبات اللبناني). كما يجرّم كل من جامع قاصراً أي أو المحرض على الدعارة يعاقب من شهر إلى سنة وبغرامة من 50,000 ل.ل. إلى 500,000 ل.ل. (مادة 523 من قانون العقوبات اللبناني). كل من استعمل امرأة برضاها لإغراء الغير يعاقب بالحبس سنة على الأقل وبغرامة لا تنقص عن نصف قيمة الحد الأدنى الرسمي الذي لم يبلغ الثامنة عشر من العمر بالاغتصاب. وقسّم القانون عقوبة الاغتصاب بحسب سن القاصر إلى ثلاث فئات:

من جامع قاصراً دون الخامسة عشر من عمره عوقب بالأشغال الشاقة المؤقتة لمدة لا تقل عن 5 سنوات.

من جامع قاصراً لم يتم الثانية عشرة من عمره عوقب بالأشغال الشاقة المؤقتة لمدة لا تقل عن 7 سنوات.

من جامع قاصراً أتم الخامسة عشر من عمره ولم يتم الثامنة عشر عوقب بالحبس من شهرين الى سنتين.

(مادة 505 من قانون العقوبات اللبناني).

في حين أن أي شخص يقدم على ممارسة المجامعة مع راشدة تم استغلالها وتهديدها على ممارسة الدعارة، ربما من خلال عصابة، وطلبت في ما بعد عدم المجامعة معه فقام بتهديدها وتعنيفها، يعاقب بجريمة الاغتصاب بالأشغال الشاقة خمس سنوات على الأقل (مادة 503 من قانون العقوبات اللبناني). فمن مارس الدعارة (تحت التهديد او بكامل ارادته) لا يلقى الاغتصاب.

أما في ما يتعلق بالإتجار بالأشخاص نص قانون رقم 164 تاريخ: 2011/08/24 الذي التزم به لبنان منذ عام 2005 باتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية (اتفاقية «باليرمو») والبروتوكول الملحق بها المتعلق بمنع وقمع ومعاقبة الإتجار بالأشخاص وبخاصة النساء والأطفال»، وإصدار النصوص القانونية اللازمة لمنع ارتكاب جريمة الإتجار بالأشخاص وملاحقة مرتكبيها ومعاقبتهم، ووضع نظام قانوني لحماية ضحايا هذه الجريمة ومساعدتهم. وأدخلت فعلاً تعديلات على قانون العقوبات بحيث بات يتضمن تعريفاً لجريمة الإتجار بالأشخاص على النحو الآتي: «اجتذاب شخص أو نقله أو استقباله أو احتجازه أو تقديم المأوى له، بهدف استغلاله أو تسهيل استغلاله من الغير، وذلك بواسطة التهديد بالقوة أو استعمالها أو الاختطاف أو الخداع أو استغلال السلطة أو استغلال حالة الضعف، أو بإعطاء أو تلقي مبالغ مالية أو مزايا». وتعرّف عبارة الاستغلال على أنها تشمل إرغام المجني عليه على القيام بأعمال منافية للحشمة أو تعاطي الدعارة. ويفترض، بحسب القانون، عدم الأخذ بموافقة المجني عليه الذي لم يتم الثامنة عشر من العمر على هذه الأفعال. ويحدد القانون العقوبات بحق الضالعين بالإتجار بالبشر تبعاً لهوية الضحية وخطورة الوسائل المعتمدة لارتكاب هذه الجريمة.

واللافت أن لوزير العدل، بموجب القانون رقم 2011/164، أن يستعين بمؤسسات او جمعيات متخصصة لتقديم المساعدة والحماية لضحايا جريمة الإتجار بالأشخاص. وتصادر المبالغ المتأتية عن الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون وتودع في حساب خاص في وزارة الشؤون الاجتماعية لمساعدة ضحايا هذه الجرائم. وجاء بموجب القانون رقم 164 إضافة المادة 586 على قانون العقوبات اللبناني وجاء فيها شرح الإتجار بالأشخاص وشروطها والأفعال ضمن الإتجار بالأشخاص التي يعاقب عليها من ضمنها الدعارة واستغلال الدعارة. كما نص على عقوبة مرتكبي جريمة الإتجار بالأشخاص.

> رجال كتار بيمسكوني وبحطوا إيدهم على جسمي. أوقات بهرب، واوقات بخليه ليعطيني مصاري مشان اقدر إرجع فوت على البيت

معاناة ما بعد الدعارة

هل الحياة قبل ممارسة الدعارة في ظل التهديد والتعنيف هي نفسها بعد النفاذ من عصابة الإتجار بالأشخاص؟

غالباً ما تعاني المرأة من شعور هائل بالذنب وكره الذات في مجتمع يصدر الأحكام من دون النظر في الوقائع، ما يجعل من دخول المرأة في علاقة زوجية وتأسيس عائلة أمراً معقّداً بحسب أستاذة العلوم النفسية علا البيطار، مشددة على أن «العلاج النفسي أكثر من ضروري لكي تتصالح المرأة مع الظروف التي مرت عليها لتتسنى لها إقامة علاقة جنسية مع شريكها وتأسيس عائلة».

أما الرجال الذين يلجؤون إلى العنف خلال العلاقات الجنسية فيكون ذلك «دلالة على مشكلة عميقة تتطلب علاجاً نفسياً أيضاً». إذ إن « للرجل في العلاقات الجنسية أداء واقعياً وآخر خيالياً (فانتازم). وللأداء الخيالي أثر سلبي على تصرفات الرجال خلال العلاقات الجنسية، وغالباً ما يطبق ذلك في العلاقات غير الشرعية».

سين جيم

ضوابط قانونية للمدارس الخاصة
هل يمكن ضبط إدارات المدارس «المشاغبة»؟

لا يمكن للتعليم ان يكون سلعة، رغم انه اصبح كذلك في لبنان. وحتى التعليم الخاص لا يمكن ان يصبح كذلك بذريعة الاقتصاد الحر الذي يتغنّى به اللبنانيون. فالاقتصاد الحرّ لم يُقصد به يوماً الفلتان، بل التنظيم وفق ضوابط وحدود. وحتى في عزّ الحرب الاهلية، صدر عام 1981 قانون لمراقبة زيادة الاقساط والرسوم المدرسية في المدارس الخاصة. كما اصدر مجلس النواب عام 1993 قانوناً يتجميد الاقساط المدرسية في المدارس الخاصة، قبل إقراره عام 1996 قانون تنظيم الموازنة المدرسية الذي وضع اصولاً لتحديد الاقساط في المدارس الخاصة. وقد كان قانوناً مقبولاً رغم بعض الملاحظات. كما كان مقرراً ان يُعمل به مؤقتاً لمدة خمس سنوات فقط، إلا انه كان يتم تمديده كل مرة إلى ان عُدلت مادته العشرون عام 2014 بموجب القانون رقم 281 تاريخ 2014/4/30 بحيث صار يُعمل به إلى حين صدور تنظيم آخر. فما الذي يمنع تطبيق هذا القانون النافذ؟ لا شيء سوى الرّغبة في ترك الامور على غاربها في ظل فوضى عارمة يتخبط بها الاهالي. والفوضى لا بد لها من مستفيد في وقت يتلقّى الاهالي باستهجان رسائل من المدارس الخاصة تطلب منهم فيها دفعات بالدولار واخرى باليورو وتتضمن تكاليف إضافية غير محددة. وكل هذا ليس قانونياً، ولا يجيزه اي قانون واي قرار. في ظل امتناع الحكومة عن تعيين المجالس التحكيمية التربوية في المناطق

(مروان بو حيدر)

■ صادق علوية

■ كيف يتم تحديد قيمة القسط المدرسي في المدارس الخاصة؟

- ينبغي على كل مدرسة أن تضع موازنة سنوية تبيّن فيها النفقات والايرادات. ويُحدد القسط المدرسي السنوي بقسمة اجمالي باب النفقات على مجمل عدد التلامذة، مع مراعاة احتساب مجموع منح التعليم المقدمة الى ابناء أفراد الهيئة التعليمية المعفين من القسط ضمن باب النفقات وتنزيلهم من مجمل عدد التلامذة. وفي حال استجدّت اعباء اقتضتها قوانين وانظمة مستحدثة وجب على ادارة كل مدرسة ان تضع ملحقا بمجمل هذه الاعباء وما يلحق القسط من زيادة نسبية الى المرحلة التعليمية، نتيجة قسمة هذه الاعباء على عدد التلامذة المعتمد لاحتساب القسط، وترسل نسخة عنه الى مصلحة التعليم الخاص، موقّعة من مدير المدرسة ورئيس لجنة الاهل في مهلة اقصاها نهاية السنة الدراسية. القسط المدرسي = النفقات (مقسومة على) عدد التلامذة.

كل ما تفرضه المدرسة من مبالغ أيا كانت تسميتها تعتبر بمثابة قسط مدرسي ويندرج تحت احكام قانون تنظيم الموازنة المدرسية

تُحسم منح التعليم المقدمة الى اولاد افراد الهيئة التعليمية المعفين من القسط ضمن باب النفقات ويتم تنزيلهم من مجمل عدد التلامذة

■ هل يحق للمدرسة الخاصة فرض مبالغ على الطلاب تحت حجة دعم المدرسة من خارج القسط؟

- كل ما تفرضه المدرسة من مبالغ أيا كانت تسميتها تعتبر بمثابة قسط مدرسي ويندرج تحت أحكام قانون تنظيم الموازنة المدرسية. وبالتالي، يجب أن تكون موافقا عليها من لجنة الأهل ومن وزارة التربية. ويعتبر القانون ان المقصود بالقسط المدرسي كل ما تفرضه المدرسة على التلميذ من مبالغ، أيا كانت تسميتها، عن سنة دراسية في مقابل ما تقدمه له من تعليم ونشاطات تربوية إلزامية وتامين ضد الاخطار ورقابة طبية، بما فيه رسم الانتساب أو رسم فتح ملف أو خلافه من التسميات، مما يعني عدم جواز اختراع مصطلحات وتبرير المبالغ تحت لوائها.

■ هل يحق للمدرسة الخاصة فرض أقساط أو دفعات بالدولار أو بعملة غير العملة اللبنانية؟

- لا يجوز فرض أي قسط أو دفعة أو أي مبلغ بالدولار الأميركي أو بغير العملة اللبنانية، وذلك بموجب قانون النقد والتسليف وقانون حماية المستهلك وقانون تنظيم الموازنة المدرسية.

■ هل يجوز إلزام التلامذة باستخدام وسائل النقل الخاصة بالمدرسة أو للتسجيل، فلا يجوز ان يتعدى هذا الرسم العشرة في المئة من قيمة قسط السنة السابقة. ويجب في مطلق الاحوال اعتباره جزءاً من اصل القسط السنوي المتوجب.

■ من يتولّى مراقبة التزام المدارس الخاصة بالقانون لا سيما لجهة مخالفة الزيادة والقسط للقانون؟

- تتولى مصلحة التعليم الخاص في وزارة التربية والتعليم العالي مراقبة تطبيق أحكام القانون ويمكن لها أن تستعين للقيام بالمراقبة بعدد من الموظفين في وزارة التربية والتعليم العالي، يجري وضعهم بتصرفها لمدة معينة بقرار من وزير التربية والتعليم العالي وبخبراء المحاسبة المجازين او مكاتب تدقيق ومراقبة الحسابات المسجلين في نقابة خبراء المحاسبة المجازين في لبنان.

■ ما هي واجبات وزارة التربية في حال كانت الزيادة على الاقساط مخالفة للقانون؟

- اذا وجدت مصلحة التعليم الخاص في وزارة التربية ان الاقساط المدرسية المحددة او المفروضة من قبل المدرسة، او ان الزيادة على الاقساط كما اعتمدتها، مخالفة لأحكام القانون، تقوم بدعوة ادارة المدرسة الى التقيد بأحكام القانون تحت طائلة الملاحقة القضائية. وفي هذه الحال، تحدد المصلحة للمدرسة قيمة الاقساط او الزيادة الواجب اعتمادها، واذا تمادت المدرسة ولم تلتزم بهذه القيمة ولم تعترض عليها خلال عشرة ايام من تبلغها، وجب احالة المدرسة الى المجلس التحكيمي المختص بقرار من وزير التربية والتعليم العالي.

■ من هي الجهة التي تتولى النظر في شكوى مخالفة قانون تنظيم الموازنة المدرسية؟

- إضافة إلى إمكانية تقديم شكوى الى وزارة التربية، انشأ القانون مجالس تحكيمية خاصة يرأسها قاض بمعدل مجلس واحد لكل منطقة تربوية تختص في النظر بما يأتي:
في المخالفات لأحكام القانون والنزاعات الناشئة عن تطبيقه.
في مراجعات أولياء التلامذة المتعلقة بالتدابير المتخذة من قبل ادارة المدرسة بحق أولادهم
في مراجعات ادارات المدارس ضد أولياء التلامذة الممتنعين عن تسديد القسط المدرسي المتوجب على أولادهم.

■ من يحق له اللجوء الى المجلس التحكيمي؟

- يحق لوزير التربية والتعليم العالي ولجان الاهل في المدارس الخاصة، ولأولياء الأمور ولكل متضرر، مراجعة المجلس التحكيمي. وهذه المراجعة معفاة من الرسوم القضائية ومن واجب الاستعانة بمحام.
يتوجب على ولي أمر التلميذ أن يتقدم بمراجعة الى لجنة الأهل في المدرسة قبل مراجعة المجلس تحت طائلة عدم قبول مراجعته.

■ ما هي القرارات الممكن اتخاذها من قبل المجلس التحكيمي؟

اذا تبين للمجلس التحكيمي ان الزيادة على الاقساط المدرسية غير مشروعة يحكم برد هذه الزيادة الى اصحابها. واذا تبين له انها متعمدة او عن سوء نية يحكم بغرامة مالية تتراوح بين 10% و50% من قيمة مجموع الزيادة على الاقساط المستوفاة من دون وجه حق.
اما بقية المخالفات لأحكام هذا القانون فتطبق عليها الأحكام التالية:
1 - غرامة مالية اكراهية عن كل يوم تاخير ولمدة شهر بنسبة ربع في الالف من مجموع الاقساط السنوية، عند تقديم نسخة الموازنة الى مصلحة التعليم الخاص بعد انقضاء الموعد المحدد.
2 - غرامة مالية تتراوح بين 10% و25% من مجموع الاقساط السنوية في حال عدم تقديم نسخة الموازنة بعد انقضاء شهر على الموعد المحدد.
3 - غرامة مالية تتراوح بين ثلاثة وخمسة اضعاف أعلى قسط سنوي في المدرسة عن كل من المخالفات غير المذكورة.
وفي حال تكرار المخالفة تضاعف الغرامة وتستوفى الغرامات لصالح الخزينة.
لا يمكن للمدرسة ان تقدم موازنتها الى وزارة التربية الا اذا كانت موقّعة من مدير المدرسة ومن رئيس لجنة الاهل او من مندوبي اللجنة في الهيئة المالية، كذلك يجب ان يرفق بنسخة الموازنة صورة عن محضر الهيئة المالية تظهر موقف هذه الهيئة ولجنة الاهل من مشروع الموازنة.
(المادة 3 من قانون تنظيم الموازنة المدرسية ووضع اصول تحديد الاقساط المدرسية في المدارس الخاصة).

قانون تنظيم الموازنة المدرسية ووضع اصول تحديد الاقساط المدرسية في المدارس الخاصة
قانون رقم 515 - صادر في 1996/6/6

تحت القوس

من يملأ الفراغ؟

■ عمر نشابة

تتفاقم المشكلات ويستمر انهيار قيمة العملة الوطنية وتنهار معها، شيئاً فشيئاً، مؤسسات الدولة، او ما تبقى من مؤسسات الدولة التي لم تشهد إصلاحات جدية منذ نهاية الحرب الاهلية.
في ظل الأزمة السياسية المتصاعدة مع اقتراب موعد انتخاب رئيس جمهورية في النظام الطائفي، وفي غياب خطة تعاف اقتصادي ومالي واضحة وقابلة للتنفيذ، تتسارع وتيرة تخريب القضاء في لبنان، وتصبح فرص حكم القانون نادرة والحق في المحاكمة العادلة مهدداً.
وكما في العلوم الطبيعية والقواعد الفيزيائية، لا بد من شيء يملأ الفراغ الذي يحدثه تعطل القضاء. ويبدو ان بعض عملاء المخابرات ومشغليهم ينالون حصة الأسد في بلد بدأت تحكمه شريعة الغاب من دون منازع.
فبعض «المخابرات» مثل الحشرات، تتكاثر بسرعة وتتحرك بخفّة وصمت وتتسلل بسهولة الى اضيق الأماكن وتخفي اوكارها، وهي آخر الكائنات التي يمكن ان تتأثر بالكوارث والأزمات. ومن بين الحشرات عقارب سامة وزواحف قاتلة وبعوض ينشر الأمراض والالتهابات بشكل يصعب تشخيصه ومعالجته طبياً.
وتلعب بعض أجهزة المخابرات، في بعض الأحيان، الدور الرئيسي في استثمار الفوضى لمصلحتها بينما تدعي الحفاظ على المصالح الوطنية وسيادة الدولة وحكم القانون.
وقد يكون من أسوأ فصول نشاط المخابرات وأكثرها ضرراً، عملها على تشويه الحقائق واطلاق احكام الإدانة وتوجيه الرأي العام من خلال تحكّمها ببعض الإعلاميين والصحافيين، وسيطرتها على نشر التسريبات وتعميم «الخبريات» والمعلومات المجتزأة احياناً والمضللة احياناً أخرى.
وقد تكون المخابرات من ابرز المستفيدين من تعطيل القضاء لأن ذلك يتيح لها التصرف بحرية مطلقة من دون حسيب او رقيب. ففي غياب القضاء، يتحكم رجال المخابرات بـ«الحقيقة» ويدينون من يشاؤون ويبرئون من يحلو لهم.

الرقابة على عمل المخابرات يفترض ان تكون صارمة اكثر من الرقابة على اي جهاز او مؤسسة اخرى

ويبدو ان في كل مؤسسة امنية وعسكرية في لبنان اليوم ضباطاً ورتباء مكلفون بمتابعة ومراقبة ما ينشر في وسائل الاعلام، ويبادر بعضهم بالتواصل مع بعض الإعلاميين بهدف «التشاور والتنسيق». هكذا تتحول بعض البرامج التلفزيونية وبعض المقالات في الصحف والمجلات الى تقارير أمنية مع بعض التعديلات التحريرية لمراعاة أصحاب المهنة.
والمخابرات يفترض ان تعمل في السرّ بينما في لبنان لا يقتصر الاستعراض على ارتداء البعض سترات دوّن عليها «مخابرات»، ولا على العضلات والسلاح الظاهر من تحت القميص والنظارات السود والسيارات غير «المنمّرة» وسائر المظاهر الميليشياوية، بل تنتشر بين الناس اخبار بأن فلاناً محسوب على الجهاز الفلاني بينما علتان محسوب على جهاز آخر، وهكذا يتمّ تقييم دقة الخبر. كلّ بحسب الجهاز الذي يعده وفيّاً لطائفته أو لحزبه أو لتياره... فصحيح ان المخابرات تبدو قوية، غير ان نظام المحاصصة الطائفية لا يقوى عليه شيء في لبنان.
المخابرات يفترض ان تعمل في السرّ، ويمكنها ان تفعل ما تشاء، وتعمم ما تشاء، وتحرّض ضدّ من تشاء، وتؤذي من تشاء، وتحمي من تشاء، في الظلام من دون ان يدري احد. وبالتالي، فان الرقابة على عمل المخابرات يفترض ان تكون صارمة وجدية ودقيقة اكثر من الرقابة على أي جهاز او مؤسسة أخرى، خصوصاً في ظل الازمات الحادة التي يمرّ بها لبنان.
للمخابرات وظيفة الاستعلام والتحرك من اجل الحفاظ على المصالح الوطنية لا لخدمة طرف او جهة او جهاز او طائفة أو مصلحة شخصية.

(انجلا بوليفاخ ـ المكسيك)

القوس

■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، شفيق طبارة
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان

alqaous alqaous22 al_qaous alqaous 01/34 99 54
www.alqaous.com info@alqaous.com